



المجلس الأعلى للغة العربية



الأبعاد الحضارية والفنية للنظرية الاقتصادية في فكر مالك بن نبي

أ. مومني اسماعيل

أ. ميلود زنكري

منشورات المجلس 2010

المجلس الأعلى للغة العربية

الأبعاد الحضارية والفنية
للنظرية الاقتصادية في فكر

مالك بن نبي

أ. مومني اسماعيل

أ. ميلود زكري

حاز على جائزة اللغة العربية
لسنة 2010

منشورات المجلس - الجزائر 2010

كتاب: الأبعاد الحضارية والفنية للنظرية الاقتصادية في

فكر مالك بن نبي.

إعداد: أ. ميلود زنگري و أ. مومني اسماعيل

قياس الصفحة: 23/15.5

عدد الصفحات: 136 ص

الإيداع القانوني: 2010-3509

ردمك: 3-50-821-9947-978

المجلس الأعلى للغة العربية

شارع فرونكلين روزفلت - الجزائر

ص.ب 575 الجزائر _ ديدوش موراڊ

الهاتف : 021.23.07.24/25 الفاكس : 021.23.07.07

تهدف هذه الدراسة إلى جمع أفكار ودراسات وتحليل مؤلفات المفكر الجزائري مالك بن نبي في المجال الاقتصادي، ودراساتها وتحليلها، لإبراز مساهمته في وضع نظرية اقتصادية ذات بعد عربي - إسلامي، ويعتبر الموضوع مهما لخلو المكتبات الجزائرية في معظم التخصصات كالاقتصاد، وعلم الاجتماع، والعلوم السياسية، والعلوم القانونية ل هذا الكتاب، التي يسعى المجلس من خلال نشره إلى تزويد المكتبات بمثل هذه الدراسات

الكتاب هو عمل مشترك شارك به مؤلفاه في جائزة اللغة العربية ال تي نظمها المجلس الأعلى للغة العربية سنة 2010 وحاز به على الجائزة الأولى في مجال العلوم الاقتصادية

1 - إسماعيل مومني من مواليد 13 نوفمبر 1981 بالعلمة، ولاية سطيف

الوظيفة : أستاذ مساعد، كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير، جامعة سطيف.

الشهادات المحصل عليها :

- شهادة الدكتوراه، اقتصاد إسلامي، جامعة الأمير عبد القادر، 2007؛

- تحضير رسالة الدكتوراه حول القطاع
الوقفي.

2 - ميلود زنكري. من مواليد 22 جانفي
1982 بولاية الشلف.

الوظيفة : أستاذ ورئيس قسم العلوم
التجارية بمعهد العلوم الاقتصادية
والتجارية وعلوم التسيير، المركز الجامعي
برج بوعريريج.

الشهادات المحصل عليها:

- شهادة الماجستير في الاقتصاد والإدارة،
شعبة الاقتصاد الإسلامي

- شهادة تسجيل الثالث في الدكتوراه
تخصص اقتصاد

مشاريع البحث:

- عضو في فرقة البحث حول " تحرير القطاع
المصرفي بالجزائر- التحديات والرهانات

- المشاركة في العديد من الملتقيات
الدولية والوطنية.

E

الحمد لله حمدا يوافي نعمه ويكافئ
مزيده، ربنا لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك
ولعظيم سلطانك، سبحانك اللهم لا نحصى ثناء
عليك أنت كما أثنيت على نفسك، والصلاة
والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه،
صلاة وسلاما دائمين إلى يوم الدين، وبعد:

فما أكثر ما أصيبت الأمة الإسلامية في
وقتنا المعاصر باختلالات مسّت جميع جوانب
الحياة فيها، بما في ذلك الجانب الاقتصادي،
الشيء الذي أفقدها سنة التقدم وأتاح
للتخلف والانحطاط السيطرة على دواليب
الحياة فيها.

ورغم هذه النكبة فقد ظلّت قضية إعادة
ترتيب الأولويات وبناء صرح الأمة الإسلامية
قضية ثلة كبيرة من العلماء والمفكرين
والدعاة، الذين انكبوا على حاضر الأمة
يدرسونه ويتأملونه، وعلى مستقبلها يرسمون
معالمه، ولما كان الأستاذ مالك بن نبي -
رحمه الله - بدعوته الصادقة وعقله النيّر
وفهمه الواسع لقضايا عصره، وحرصه على

حصانة الفكر الإسلامي وأصالته وصفائه
وفعاليته من بين هؤلاء المفكرين، أهله
ذلك لأن يكون عالما بارزا فيهم، وأن يكون
الوقوف على أفكاره وأطروحاته منطلقا مهما
لمواجهة المشكلة الاقتصادية ولإعادة
الحركة لاقتصاد الأمة على ضوء مكونات
الحضارة الإسلامية.

وقد عملنا في هذه الدراسة على تجلية
الفكر الاقتصادي للأستاذ مالك بن نبي
الذي ما يزال مغمورا إلى يومنا هذا، وعلى
توضيح خطته في النهوض باقتصاديات العالم
المتخلف.

1- الإشكالية:

إن في مسيرة المجتمعات والأمم عدة محطات
تتفاعل فيها الأحداث، لتفرز بشكل ملح وعاجل
عدة قضايا، وهذا حال العالم الإسلامي في
الوقت الراهن مع عدة مسائل استدعتها
التحديات الداخلية وفرضتها الظروف
العالمية، ومن أهمها مسألة التحدي
الاقتصادي وإمكانية توفير المناخ اللازم
للتقدم والتنمية، ولما كان الإجماع حاصلًا

على أنه لا سبيل إلى تحقيق التقدم والتنمية إلا بتوفر فكر يكون كقاعدة فاعلة تتيح للأمة الاستفادة من ثرواتها الطبيعية ومواردها البشرية، وتمكّنها من استدراك ما فاتها نتيجة توقفها عن إنتاج المعرفة، دون إهمال لتحديات العالم الخارجي الذي تتعامل أو ستتعامل معه وما يسوده من قيود وأوضاع مفروضة .

من هذا المنطلق كان الفكر الاقتصادي من القضايا التي شغلت عقول المفكرين المعاصرين، فوضعوه في سلم الأولويات للمهام التي يجب أن تتلقت إليها الأمة، وتوجّه نحوها الجهود التي تؤدي غرضها المطلوب وبالفعل تجنّدت طاقات لتشخيص الداء ولمعرفة الخلل، الذي أشتفهم ضمير المفكرين الاقتصاديين الذين يرجع إليهم التحليل الموضوعي للواقع .

هذا الواقع الذي وُضع تحت عدسة المفكرين الاقتصاديين كان بمثابة نقطة انطلاق من خلال الاتفاق على البدء من تحديد وضع العالم الإسلامي ثم النظر للأوضاع العالمية التي تحيط به والتي لا يملك الانفصال الكامل عنها، فكانت نتائج الكشف متقاربة إن لم نقل متماثلة بين معظمهم على أن معالم

الوضع الاقتصادي في العالم الإسلامي اتّسمت بصورة مشوهة .

والآن بعد أن عرفنا الاتفاق الحاصل في نتائج تقييم الوضع الاقتصادي، وإذا وقفنا متأملين الحلول التي قدمها مفكروننا في المجال الاقتصادي، نجد أنها قد اختلفت تبعاً لعدة تصورات، وانطلاقاً من خلفيات متباينة لتتجسد وبصفة عامة في المواقف التالية :

1/ من ناحية التوجه الاقتصادي للعالم الإسلامي نميِّز موقفين اثنين:

أصحاب الموقف الأول اتّجهوا إلى ما هو موجود من أنظمة فوقفوا موقف اختيار وتفضيل بين ليبرالية "آدم سميث" • ومادية "كارل ماكس" •، كأنما ليس للمشكلات الاقتصادية سوى الحلول التي يقدمها هذا أو ذاك ⁽¹⁾ . أما أصحاب الموقف الثاني فقد طرحوا نظاماً

• - سميث آدم (1723 - 1790) فيلسوف اجتماعي وعالم اقتصادي اسكتلندي يعتبر مؤسس علم الاقتصاد الكلاسيكي دعا إلى تعزيز المبادرة الفردية والمنافسة وحرية التجارة بوصفها الوسيلة الأفضل لتحقيق أكبر قدر من الثروة و السعادة أهم آثاره كتاب " بحث في طبيعة ثروة الأمم و أسبابها " عام 1776 ، وقد اشتهر اختصاراً باسم " ثروة الأمم " .

• - ماركس كارل (1818 - 1883) عالم اقتصادي وفيلسوف اجتماعي ألماني نشر مع صديقه فريدريك أنجلز (البيان الشيوعي) عام 1848 ، أبعد عن ألمانيا وفرنسا فشحّص إلى لندن عام 1849 حيث انكب على الدرس في المتحف البريطاني أشهر آثاره كتاب " رأس المال " .

(1) - مالك بن نبي، **المسلم في عالم الاقتصاد** . إشراف ندوة مالك بن نبي، دار الفكر، دمشق، سوريا،

تأصيلها مغايراً يتوجه إلى نقد الأنظمة المستوردة ويحاول إيجاد بديل انطلاقاً من أن الإسلام رسالة تجمع بين المادية والروح، وبين العلم والإيمان فهو عقيدة وشرعية.

2/ أما من ناحية طبيعة الاستثمار فنميز موقفين اثنين كذلك:

أصحاب الموقف الأول اختاروا الاستثمار المالي الذي يلجأ إلى القروض الأجنبية، أما أصحاب الموقف الآخر فاختاروا طريقة الاستثمار الاجتماعي الذي يعني إعادة بناء التنمية الاقتصادية على ضوء مكونات الحضارة الإسلامية.

وفي هذا السياق طرح مالك بن نبي فكراً اقتصادياً في ملابس مشابهة إلى حد بعيد الوقت الراهن، وقد انطلق المفكر من الإسلام كمرجعية متفتحة على الحضارة الغربية، بانياً في ذلك فكره الاقتصادي على أن العالم الإسلامي قد ارتكب خطأ فادحاً، حينما قرر أن يستخدم مناهج خلقت لمجتمعات أخرى، فكل نظام اقتصادي صمم لمجتمع معين ولأجل مجتمع محدد.

وبناء على ما سبق فالإشكالية التي تبني عليها هذه الدراسة تتمثل في محاولة صياغة رؤية اقتصادية من فكر الأستاذ مالك بن نبي لكيفية تحقيق الحركة الاقتصادية للعالم الإسلامي من خلال معرفة الحلول التي تستطيع أن توفر الفعالية اللازمة للخروج من الركود.

2 - منهج البحث :

إن موضوع البحث العلمي يتطلب منهجا دقيقا لدراسة مشكلة ما قصد الوصول إلى النتائج والأهداف المرجوة , وتحقيقا لهذا الهدف قد تم الاعتماد في هذه الدراسة على المنهج الاستقرائي التحليلي الذي يركز على استقراء وعرض الأفكار والمفاهيم المطروحة في مؤلفات مالك بن نبي ومن ثم تحليلها بما يتناسب مع إشكالية البحث, كما تطلب موضوع الدراسة في بعض الجوانب الاستعانة بالمنهج المقارن.

3 - تحديد المفاهيم :

نحاول من خلال هذا العنصر تحديد المفاهيم للعناصر المفتاحية الرئيسية للموضوع الذي نحن بصدد دراسته.

أ / النظام الاقتصادي:

يمثل النظام الاقتصادي نسق الأدوار الاجتماعية والمعايير التي تنظم شأن إنتاج وتوزيع واستهلاك سلع الاستهلاك التفاخري⁽¹⁾، فأى نظام اقتصادي يتمثل في مجموعة من المبادئ يقوم عليها إطار خاص بتنظيم النشاط الاقتصادي، فمن جهة تقوم تلك المجموعة من المبادئ على وجهة نظرة فلسفية خاصة بها اتجاه النشاط الاقتصادي، ومن جهة أخرى فإن تفاعل تلك المبادئ يشكل إطار النشاط الاقتصادي ويوجهه إلى الطريق المرغوب فيها من ذلك النظام⁽²⁾.

ب / النظام الرأسمالي:

نظام اقتصادي يقوم على الملكية الخاصة لموارد الثروة، أي يمتلك الأفراد بموجبه وسائل الإنتاج فيه كالأرض والمشروعات التجارية والصناعية، ويكون الإنتاج فيه لمصلحة هؤلاء الملاك، إجمالاً نقول تعتمد الرأسمالية على الملكية الفردية وعلى

(1) - أحمد زكي بدوي، معجم الاصطلاحات الاقتصادية دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، دط، دت، ص31.

(2) - محمد منذر قحف، الاقتصاد الإسلامي علم أو وهم. دار الفكر، دمشق، دار الفكر المعاصر، بيروت 2000 م، ص 94.

السوق الحر وعلى الإنتاج من أجل الربح ⁽¹⁾ ،
والنظام الرأسمالي كان من نتائج تطبيق
المذهبين الحر والكلاسيكي في أوروبا وكذا
ازدهار الصناعة والتجارة ، وبالتالي نمو
رأس المال حيث ازدادت سطوة أصحاب المال
حتى سميت هذه الطبقة بطبقة الرأسماليين
والنظام الاقتصادي السائد بالنظام
الرأسمالي.

ج / النظام الاشتراكي:

مذهب اقتصادي اجتماعي يقوم على القضاء
على الملكية الفردية، وتدخل الدولة الفعّال
في حياة الأفراد وإخضاعهم لإشرافها
وتوجيههم ماديا وفكريا بغية تحقيق
المساواة الفعلية بين جميع الناس، وبين
جميع الأمم، وجميع المذاهب الاشتراكية على
اختلاف أنواعها، تشترك في الإيمان بالاحتمية
الاجتماعية وتنظيم قوى الإنتاج وربط وظائف
الاقتصاد بالدولة والاعتقاد أن العمل هو
الأساس الشرعي لكل تملك ⁽²⁾ .

(1) - أحمد زكي بدوي، معجم الاصطلاحات الاقتصادية. مرجع سابق، ط3.

(2) - أحمد زكي بدوي، معجم الاصطلاحات الاقتصادية. مرجع سابق، ص270.

د / النظام الاقتصادي الإسلامي:

الاقتصاد الإسلامي متميز عن غيره من الاقتصاديات الوضعية، إذ يركز على أصول اقتصادية عامة وثابتة أوردتها نصوص كلية في القرآن الكريم والسنة النبوية ويعرف النظام الاقتصادي الإسلامي على أنه مجموعة القواعد والأنظمة والأحكام المنبثقة من الشريعة الإسلامية، والمتعلقة بمختلف مراحل ومستويات الفعاليات الاقتصادية الفردية والجماعية⁽¹⁾. أو هو مجموعة الإجراءات الإسلامية المؤثرة في الاختيار الاقتصادي الذي يهدف إلى توجيه الموارد نحو تحقيق الأهداف⁽²⁾.

(1) - رفيق يونس المصري، أصول الاقتصاد الإسلامي . دار القلم، دمشق، دار الشامية، بيروت، 1409هـ/ 1989م، ص32.

(2) - يونس عبد الله الزامل، بوعلام بن جيلالي، النظرية الاقتصادية الإسلامية (اتجاه تحليلي) . دار عالم الكتب، الرياض، 1417هـ/ 1996م، ص6.

4 - أهمية الموضوع ودواعي اختياره :

أولا : أهمية الموضوع.

يُمكن بيان الأهمية التي ترمي إليها هذه الدراسة من خلال النقاط التالية :

- أ- استكمال بناء نظرية إسلامية معاصرة في المجال الاقتصادي، وإحياء جانب مهم من جوانب الفكر الاقتصادي الإسلامي، على ضوء مساهمة المفكر مالك بن نبي.
- ب- تعكس هذه الدراسة أهمية كبيرة غير مسبوقة، تؤكد لنا بأن لدى مالك بن نبي فكرا غنياً ومتميزا في المجال الاقتصادي، كما تفتح في نفس الوقت فرصا كبيرة للأبحاث والدراسات المقارنة، بين فكر مالك بن نبي وغيره من المفكرين المختصين في الجانب الحضاري والاقتصادي.
- ج- السعي إلى إبراز جهود المفكر الجزائري بن نبي، والوقوف الموضوعي عليها، تحليلا واستنباطا واستقراء من خلال الرجوع إلى جميع مصنفاته.
- د- المساهمة في إثراء المكتبة الإسلامية في جانب دراسات الفكر الاقتصادي الإسلامي.

وكما هو معلوم فمباحث الاقتصاد كلها ذات صلة بالواقع الإنساني والناظر اليوم في أحوال المجتمعات الإسلامية، وما يلحظه من انحطاط وتخلف على كافة المستويات، يرى أنها مقودة من طرف أمم أخرى تختلف عنها في العقيدة والفكر والسلوك، لذا فالبحث في هذه المسألة يصبح من الضرورات التي يستلزم أن يبحثها أي مثقف أو مفكر لأنها تهدف إلى دراسة واقع الأمة ومعالجته ومحاولة الوقوف على أسباب المرض ومكامن الداء والمصارعة في تقديم العلاج أو الحل الذي يمكّنها من الخروج من ورطتها وبالتالي السعي إلى مستقبل أفضل.

هذا وإن المتأمل لأراء مالك بن نبي يجد فيها من الشمولية والفعالية والواقعية والعلمية مما يجعل تناولها بالدراسة من الأمور ذات الأهمية البالغة لأنه أحدث نقلة نوعية في طرح الأفكار ومعالجة القضايا.

وعليه فإن هذه الدراسة تفتح أمام الطبقة المثقفة آفاقا واسعة للبحث فيها، لأننا نثير إشكاليات طرحها مالك بن نبي، وهي بحاجة طبعاً لإثراء وتمحيص ونقد حتى

يتسنى تقييمها وطرح رؤى جديد، يفاعل بينها وبين واقعنا المعاش.

ثانيا: دواعي اختيار الموضوع:

يقول مالك بن نبي: " لست كاتباً بالمعنى الذي يبحث صاحبه عن الموضوع ليخرجه للناس، ولكن أشعر بواقع من حولي يدفعني إلى دراسته وإخراجه إلى الناس"، فهذا الشعور بالواقع وأسباب أخرى دفعتنا إلى طرح هذا الموضوع نلخصها في النقاط التالية:

- أ - الرغبة الذاتية في الإطلاع المكثف والمنهجي على طروحات المفكر مالك بن نبي، قصد فهمها لما لها من عمق.

- ب - عدم وجود أية دراسة علمية متكاملة تناولت الجانب الاقتصادي في فكر مالك بن نبي، مما يعني أن تناول هذا الموضوع يأخذ بعداً حيوياً هاماً من شأنه أن يضيف مادة جديدة للفكر الاقتصادي الإسلامي.

- ج - إن هذا الموضوع متعلق بعصرنا الحاضر، وكذا عند مفكر معاصر عاش ظروف وآمال وآلام أمته، وعان ويلات الاستعمار، فقدّم لنا منهجية تمكّنا - إذا أخذنا بها - من الخروج من واقعنا المريض، وفق عمل منهجي تخطيطي إنجازي، لأن أفكار مالك بن نبي تعد في هذا العصر مشروعاً حضارياً

متكاملا يحتاج إلى الدراسة الجدية والأخذ والانتفاع به للنهوض بهذه الأمة نحو التقدم والتطور.

- د - وجود رغبة لدى بعض المفكرين المعاصرين للكتابة في فكر مالك بن نبي، ومن هؤلاء الطيب برغوث في كتابه "موقع المسألة الثقافية من استراتيجية التجديد الحضاري عند مالك بن نبي" حيث اقترح تعميق ما طرحه من أفكار وفرضيات عبر كتابات جديدة سواء في إطار البحث الجامعي أو غيره⁽¹⁾.

- هـ - تأكيد دور مالك بن نبي وإسهاماته الواضحة في إبراز الجانب الاقتصادي كأحد الجوانب المهمة للمعرفة الإسلامية الشاملة.

5 - وصف محتويات خطة الدراسة:

تضمنت الدراسة مقدمة وأربعة فصول وخاتمة.

فأما الفصل الأول فيتناول حياة مالك بن نبي، وإسهامه في الفكر الاقتصادي، وكان ضمن مبحثين :

- المبحث الأول: حياة مالك بن نبي .
- المبحث الثاني: موقع الفكر الاقتصادي في كتابات مالك بن نبي.

(1) - الطيب برغوث، موقع المسألة الثقافية من استراتيجية التجديد الحضاري عند مالك بن نبي . دار الينابيع للنشر والاعلام ، الجزائر، ط1، 1413هـ-1993م، ص28.

والحديث في الفصل الثاني خُصّص للواقع الاقتصادي للعالم الإسلامي وتحديات الخيارات الاقتصادية المتاحة، وخصّصنا الفصل الثالث لدراسة عناصر الحركة الاقتصادية على مستوى الحضارة عند مالك بن نبي.

أما الفصل الرابع والأخير فقد تناولنا فيه عناصر الحركة الاقتصادية على مستوى الفني (التطبيقي) عند مالك بن نبي.

وخاتمة الدراسة جاءت محتوية لأهم ما توصلنا إليه من نتائج.

والله الهادي إلى سواء السبيل

أ / ميلود زنكري

أ / اسماعيل مومني

الفصل الأول

مالك بن نبي وإسهامه في الفكر الاقتصادي

المبحث الأول:

حياة مالك بن نبي

المبحث الثاني:

موقع الفكر الاقتصادي في كتابات
مالك بن نبي

﴿﴾ الأبعاد الحضارية والفنية للنظرية الاقتصادية في فكر مالك بن نبي

Y

يمكن اعتبار هذا الفصل بمثابة فصل تمهيدي للموضوع الذي نحن بصدد دراسته، فمن خلال تحريرنا لهذا الفصل نحاول أن نكشف عن شخصية المفكر مالك بن نبي، وذلك بالتعرض لأهم المعطيات التي شهدها المفكر أثناء مسيرته، وكذا معرفة ومناقشة أهم المؤثرات التي وجهته لتبني مرجعيته الفكرية، وعوامل بلورتها وصياغتها في مشروعه الفكري.

ومن خلال هذا الفصل نحاول الوقوف على الإنتاج الفكري للمفكر والتعرض للسمات العامة لمؤلفاته، ونركز الحديث فيها على الجانب الاقتصادي من خلال إعطاء نظرة شاملة حول كتاب "المسلم في عالم الاقتصاد" وسيتم بحث هذا الفصل في مبحثين :

المبحث الأول: حياة المفكر مالك بن نبي.

المبحث الثاني: موقع الفكر الاقتصادي في كتابات مالك بن نبي.

المبحث الأول:

حياة مالك بن نبي

كون موضوع الدراسة يغلب عليه الطابع الفكري باعتباره يضم مجموعة من الأفكار التي طرحها مالك بن نبي في المجال الاقتصادي، فإن من شأن هذا أن يتطلب منا كشف الاتجاه الفكري العام للمفكر مالك بن نبي، وكشف عناصر التكامل ومواطن التناقض بين مشاريعه الفكرية، وسيتم بحث ذلك في المطلبين التاليين:

المطلب الأول

النشأة

ولد مالك بن الحاج بن عمر بن لخضر بن مصطفى بن نبي بقسنطينة * في الفاتح من كانون الثاني (يناير) عام 1905 م الموافق لـ 05 ذي الحجة 1323هـ، في أسرة محافظة وفقيرة ، ويعد مالك بن نبي نفسه من أولئك الذين سمحت لهم الأقدار أن يولدوا في

* ولد بقسنطينة و ليس بتبسة كما ذهب إليه بعض الدارسين له، ودليل ذلك قوله في الصفحة 26 من كتابه " مذكرات شاهد للقرن " عن زوجة عمه : تلك المرأة التي كفلتني في طفولتي في قسنطينة وما زالت تزورنا من آن لآخر في تبسة مما كان يبعث دوما في نفسي الشوق و الحنين إلى الأرض التي ولدت فيها أي قسنطينة.

زمان يعتبر صلة وصل بين ماض عريق انطفأ نجمه ومستقبل لا يزال في بدايته صياغته وتشكله وهو يقول بهذا الصدد " كان مولدي في الجزائر عام 1905م أي في زمن كان فيه الاتصال بالماضي عن طريق آخر من بقي حيًا من شهوده والإطلال على مستقبل عبر أوائل من رواده، هكذا فقد استفدت بامتياز لا غنى عنه لشاهد حينما ولدت في تلك الفترة " (1) .

ولما بلغ السابعة من عمره هاجر جده من أمه إلى طرابلس تعبيراً عن رفضه المساكنة مع المستعمر وآثر أبوه البقاء بمدينة تبسة، وكان أبوه فقيراً عاطلاً عن العمل، أما والدته فقد كانت تشتغل بالخياطة لكسب قوت عيالها وما لبث أبوه أن تقلد منصب خوجة بالإدارة المحلية بتبسة، فضمن بذلك مورداً قاراً للرزق بفضل الله ونعمته. ففي تلك الظروف كان مالك يدرس بالكتاب وبالمدرسة الابتدائية الفرنسية، والتي نجح فيها بتفوق لينتقل بعدها إلى قسنطينة لمتابعة دروسه في المرحلة التكميلية،

(1) - مالك بن نبي، مذكرات شاهد للقرن . إشراف ندوة مالك بن نبي، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط 2،

ونظرا للتوجيه الذي أرادته عائلته حتى يكون عدلا في الشرع الإسلامي اضطر مالك بن نبي أن يسجل نفسه في دروس الشيخ عبد المجيد في النحو، وكان منذ الطفولة ذا شعور ديني قوي حيث أثر فيه جده لأمه بعد عودته من طرابلس، هذا الجد الذي كان إلى جانب ترده على زاوية العيساوة من أنصار الشيخ صالح بن مهنا رائد الإصلاح الجزائري آنذاك⁽¹⁾.

في هذه المرحلة أخذت آفاق مالك بن نبي تتوسع عبر قراءاته المتنوعة ومشاهداته الميدانية وحالفه النجاح فدخل المدرسة الرسمية سنة 1923 م التي نهل منها مناهل الأدب العربي والأدب الفرنسي، واغترف من معين الإصلاح فطالع من بين ما طالع أم القرى للكواكبي ومقدمة ابن خلدون ورسالة التوحيد لمحمد عبده ... الخ .

تخرج من المدرسة الرسمية سنة 1925 م ، ثم قرر هو وصديقا له السفر إلى فرنسا ليخوضا معا تجربة البحث عن العمل لتأمين مستقبله ، لكن قسوة الظروف والعمل والعيش هناك جعلته يرجع إلى الجزائر،

(1) - مالك بن نبي ، مذكرات شاهدة للقرن . مرجع سابق ، ص 218.

واشتغل في تبسة عونا في محكمتها، ثم عين سنة 1927 م عدلا بمدينة آفلو والتي انتقل بعدها إلى شاتودان (شلغوم العيد)⁽¹⁾، حيث شغل نفس المنصب، لكنه نفر من العمل في تلك الأوساط الموبوءة مما جعلته يقدم استقالته من هذا المنصب سنة 1928 م، حيث عاد بعدها إلى تبسة وقام بتأسيس مطحنة مع صهره غير أن تبعات أزمة 1929 م جعلت هذه التجربة تفل.

بعد هذا الفشل المحتوم عاد مالك بن نبي سنة 1930م إلى باريس قصد التسجيل في امتحانات الدخول إلى معهد الدراسات الشرقية بيد أن الاستعمار الذي ظل يلاحق ابن المستعمرات لاحق هذه المرة ابن نبي.

يقول مالك بن نبي في مذكراته "... ونودي علينا فدخلنا ولم تبد أي صعوبة في الاختبارات ولكن النتيجة كانت خيبة أمل ولم أنجح"، وهو ما جعله يقتنع بأن المقياس المعتمد لدخول ذلك المعهد ليس علمي وإنما سياسي، واضطر بعد ذلك إلى الالتحاق بمدرسة اللاسلكي، واستطاع ابن نبي عبر جولاته الباريسية أن يكتشف أشياء

(1) - عبد الطيف عبادة، صفحات مشرقة من فكر مالك بن نبي. دار الشهاب، الجزائر، دط، دت، ص 34.

كثيرة كان لها آثارها الكبير على حياته ،
وحتى على إنتاجه الفكري فيما بعد "
كمركز الوحدة المسيحية للشبان الباريسيين
" الذي كشف له عن بعدٍ مهم في أعماق
المجتمع الأوروبي، وتركز نشاط ابن نبي
السياسي بالحي اللاتيني أين يقطن الطلبة
المغاربة داعيا إلى وحدة الصف المغربي،
وفي هذه الفترة التقى بـ " حمودة بن
الساعي " الذي سيكون له الدور الكبير في
توجيه اهتماماته الفكرية.

ونظرا لقدراته النظرية وبتوجيه من أستاذ
الرياضيات التحق مالك بن نبي بمدرسة
متخصصة في الكهرباء والميكانيك، وفي سنة
1931 م تزوج مالك بن نبي بفتاة اعتنقت
الإسلام وسمت نفسها خديجة، وأتم دراسته 1935
م حيث تخرج مهندسا كهربائيا، وفي تلك
الفترة كانت تراوده فكرة السفر إلى الشرق،
لكن كل محاولاته باءت بالفشل، ثم
استدعاه بعض المهاجرين الجزائريين ليدبر
مدرسة نادي المؤتمر الإسلامي لأجل تثقيف
العمال وتعليمهم وقد توقفت هذه التجربة
نتيجة المنع الإداري ليعود بعدها إلى
الجزائر.

غير أن ظروف الحرب العالمية الثانية وانعكاساتها عن الأوضاع الاقتصادية في الجزائر جعلته يرجع إلى فرنسا سنة 1939 م حيث عمل هناك صحفيا في جريدة اللوموند الفرنسية، وبدأ إنتاجه الفكري حيث أصدر كتاب " الظاهرة القرآنية " سنة 1946 م وأخرج كتاب " شروط النهضة " سنة 1948 م.

وعندما أتاحت له فرصة التوجه إلى مصر، خاصة وأنها تشهد ثورة جديدة جاء إليها عام 1956 م حاملا معه كتاب " فكرة الأفرو-آسيوية "، وفي مصر أتقن اللغة العربية وأصبح يكتب بها مباشرة، وتحول بيته إلى منتدى فكري بزيارة المثقفين من داخل مصر وخارجها، واستدعته الكثير من المراكز الثقافية في سوريا ولبنان والكويت فأصبح يحاضر في المعاهد والجامعات، ثم اختير مستشارا للمؤتمر الإسلامي بالقاهرة.

وفي عام 1963 م عاد إلى الجزائر حيث تولى منصب مستشار التعليم العالي، ثم عين مدير جامعة الجزائر، ثم مديرا للتعليم العالي، ليستقيل في الأخير من منصبه ويتفرغ للعمل الفكري وتنظيم الندوات الفكرية، والمحاضرات في جميع أنحاء

الجزائر، وفي جامعاتها ومعاهدها العليا،
وفي ملتقيات الفكر الإسلامي التي أسهم
بقسط وافر في تأسيسها، وبقي يناضل
بالكلمة إلى أن وافته المنية في 31
1973/10/م بالجزائر العاصمة.

المطلب الثاني

المرجعية الفكرية وعوامل بلورتها

إن ضبط أصول ومعالم المرجعية
الفكرية للأستاذ مالك بن نبي ليس بالشيء
الهيّن لتجمع وتضافر عدة عوامل مختلفة شكلت
في مجملها المصادر الأساسية لفكره الذي
خلفه عبر كتاباته وأعماله العديدة، ولكن
إبراز هذه المرجعية تكتسي أهمية بالغة حيث
أنها تقربنا من استيعاب فكره دون الانزلاق
في تخريجات لم يردّها المفكر، وتمكننا من
معرفة منطلقات ومسلمات هذا الناتج الفكري
وغاياته وأهدافه ومنهجيته.

ومن دواعي تحرير هذا المطلب " كون الأمر يتعلق بمفكر إطاره المرجعي يتميز من القراءة الأولى بتعدد المصادر وتميز وتفرد المنهجية، وعليه فإن من شأن هذا الإجراء - تحليل ومناقشة المرجعية الفكرية والاتجاه الفكري العام - كشف عناصر التكامل ومواطن التناقض بين المشارب الفكرية التي استقى بن نبي منها تفكيره " ⁽¹⁾ ، ومن ثم تبعات ذلك على الفكر الاقتصادي الذي نحاول بحثه .

ومن أجل إبراز أهم المؤثرات التي وجهت بن نبي ليتبنى مرجعية فكرية وصقلها وعوامل بلورتها وصياغتها في مشروعه الفكري، سيعتمد هذا البحث عن العمل الذي أنتجه الباحثان، الأول: الطاهر سعود، في أطروحته " التخلف والتنمية في فكر مالك بن نبي "، في العنصر المعنون بـ: مصادر فكر ملك بن نبي. والباحث الثاني: عباس نعمان، في أطروحته " الرؤية السوسيولوجية في فكر مالك بن نبي - أزمة المدرسة في الجزائر نموذجاً - "، في

(1) - عباس نعمان، الرؤية السوسيولوجية في فكر مالك بن نبي ، رسالة ماجستير - غير منشورة - إشراف زعيمي مراد ،كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم علم الاجتماع والديموغرافيا، جامعة قسنطينة، السنة الجامعية، 2000-2001، ص41.

العنصر المعنون بـ المرجعية الفكرية والاتجاه الفكري العام، كما اقتضت الدراسة في هذا العنصر اعتماد كتاب مالك بن نبي " مذكرات شاهد القرن " لإثراء الموضوع بالإشارات الصحيحة للمشارب الأساسية التي استقى منها مرجعيته الفكرية. ويمكن مناقشة الجوانب المختلفة لهذا الموضوع من خلال العناصر التالية :

1 - المحيط الجزائري:

يقول مالك بن نبي: " إن من ولد في الجزائر سنة 1905م يكون قد أتى في فترة يتصل فيها وعيه بالماضي الممثل في أواخر شهوده، وبالمستقبل المتمثل في أوائل صائغيه وعلى هذا فقد كانت لي حين ولدت في تلك السنة الحظ الممتاز الذي يتيح لي أن أقوم بدور الشاهد على تلك الحقبة من الزمان " (1).

1-أ - البيئة العائلية:

إن مولد مالك بن نبي في أسرة محافظة كان له الأثر البارز في توجيهه وبلورة مرجعيته الفكرية، " فجدته أدت

(1) - مالك بن نبي، مذكرات شاهد على القرن. مرجع سابق، ص15.

دورا أساسيا في غرس القيم الأخلاقية الإيجابية وتغذيته بشعور ديني يتمحور حول حب الخير ونبذ الشر من خلال القصص والحكايات التي ترويها " ⁽¹⁾، فهو يذكر الدور التربوي العظيم الذي تركته في نفسه وسلوكه هذه الجدة، فكانت بحق المربي الأول الذي صاغ رؤياه الأولية نحو القيم الأخلاقية ⁽²⁾، وهذا ما أشار إليه بصراحة في مذكراته بقوله: " كانت هذه مدرستي الأولى فيها تكونت مداركي " ⁽³⁾، "وبعد ربع قرن ... وكنت قد أصبحت رجلا، أخذت أدرك إلى أي حد كنت مدينا إلى تلك الجدة العجوز" ⁽⁴⁾، كما كانت حكاياتها عن الاستعمار وعن المآسي التي ارتكبها أيام دخوله مدينة قسنطينة، البذور الأولى التي وجدت سبيلها إلى عقل الطفل وكونت في لا شعوره وعيا سيتعمق وستظهر آثاره حتى في الإنتاج الفكري، وتظهر عناية الأسرة بطفلها من خلال حرص

(1) - الطاهر سعود ، **التخلف والتنمية في فكر مالك بن نبي**، رسالة ماجستير - منشورة - إشراف فضيل دليو،

كلية العلوم الإنسانية و العلوم الاجتماعية ،قسم علم الاجتماع ، جامعة قسنطينة ، 2000-2001، ص58.

(2) - عباسي نعمان، **الرؤية السوسولوجية في فكر مالك بن نبي**. مرجع سابق، ص49.

(3) - مالك بن نبي، **مذكرات شاهد القرن**. مرجع سابق، ص16 .

(4) - المرجع نفسه، ص52.

والديه على تنشئته تنشئة محافظة ،
فقد انتظم في الكتّاب رغم ظروف
الأسرة الاقتصادية البائسة ، إذ اضطرت
والدته " التي جسدت على بساطة
حالها القيم الإسلامية الأصلية " ذات
يوم أن تدفع لمعلم القرآن الذي يتولى
تدريسه بدل المال سريرها الخاص .

1-ب - البيئة الاجتماعية :

بعد أن فتح مالك بن نبي عينيه على
العالم الخارجي وجد نفسه متموقعا في بيئة
سمتها العامة التمزق الاجتماعي والاقتصادي
والثقافي، وهذه البيئة التي سينشأ ويتربّع
فيها كانت محل دراساته ومعالجاته ،
بعد أن عاشها واختزنها واستشعرها وعي
هذا الطفل، فالسمة البارزة في هذه
الفترة أقل ما يقال عنها بالنسبة للعالم
الإسلامي بصفة عامة ، وبالنسبة للجزائر بصفة
خاصة كارثية فقد بسط الاستعمار نفوذه على
هذه المجتمعات مما أدى إلى تحولات اجتماعية
في العادات والقيم والنظم التقليدية ،
الزواج والأعياد ... كما شاع الخمر
وشاربوه ، وبدت بوادر استغلال الثقافة
المخالفة لتقاليد البلاد العريقة في

الظهور، "لقد بدأ المجتمع القسنطيني الذي ما برح بن نبي يقضي فيه بعض أيام طفولته يتصعلك من فوق ويسوده الفقر من تحت" ⁽¹⁾.

كما يعتبر الحضور المستمر والمتلازم الذي شهده بن نبي بين الكتاب والمدرسة الرسمية من المؤثرات التي سادت مرحلة نشوء المفكر، فالتحاقه بدروس الشيخ عبد المجيد، ودروس السيد مارتن جعله يتأثر بهاتين الشخصيتين، حيث يقول: "هذا الشيخ من ناحية ومسيو مارتن من ناحية كونا في عقلي خطين حددا فيما بعد ميولي الفكري" ⁽²⁾.

لقد كان لدروس الشيخ عبد المجيد وآخرون مثل الشيخ آيت العابد والمولود ابن الموهوب مفتي قسنطينة دورا بارزا في تنمية الروح الإصلاحية في شخصية بن نبي، وأتاحت له التعرف على الثقافة العربية بروحها الإسلامية حيث يقول "... وكنا نجد شيئا أكثر لدى الشيخ مولود بن موهوب... لقد احتفظ الشيخ في ذهنه بذلك الأثر

(1) - مالك بن نبي، مذكرات شاهد للقرن. مرجع سابق، ص 16-18.

(2) - المرجع نفسه، ص 47.

الذي غرسه في نفسه دراسته على يد معلمه عبد القادر المجاوي*، وقد تولى هو نقل تلك الغريسة إلى الأجيال من المدرسين وكنت منهم وقد أينعت ثمارها في الحركة الإصلاحية الناشئة في الجزائر" (1).

أما ما أتاح له الإطلاع على الثقافة الأوروبية هو ملازمته الأساتذة الفرنسيين " فقد كان لهم تأثير على شخصيته بشكل آخر، فالأستاذ مارتن غرس فيهم تذوق المطالعة على وجه الخصوص، و من خلاله استطاع أن يطلع على كثير من جماليات الأدب الفرنسي كما كان لتوجيهات "بوبريتي" فيما يقرؤون من كتبه، ولدروسه في التاريخ والأدب الفرنسي أثر هام، لقد حُبب الأساتذة الفرنسيون في نفسه وفي نفوس أقرانه محتوى ديكارتيًا يبدد ذلك الظلام الذي نمت فيه العقلية الخرافية، التي تتعاطف مع الخرافات النامية في الجزائر" (2).

* شخصية بارزة في الحياة الثقافية الجزائرية إبان الاستعمار الفرنسي، ولد في تلمسان 1848م تلقى معظم تحصيله العلمي في المغرب الأقصى، وتولى التدريس في قسنطينة ثم في المدرسة الثعالبية بالعاصمة في 1908، توفي الأستاذ عبد القادر مجاوي بقسنطينة سنة 1914 تاركا وراءه أثرا طيبا. لمزيد من التفصيل: أنظر: عمر بن قينة، شخصيات جزائرية. ط1، 1983، صص 9-12.

(1) - مالك بن نبي، مذكرات شاهد للقرن. مرجع سابق، ص 64.

(2) - الطاهر سعود، التخلف والتنمية في فكر مالك بن نبي. مرجع سابق، ص 59-60.

بالإضافة إلى ذلك فقد كان مقهى " بوعربيط " و " ابن يمينه " صالونا أدبيا وسياسيا يلتقي فيه تلاميذ المدرسة وجموع طلبة ابن باديس فيتبادلون الحديث والنقاش في القضايا الأدبية والسياسية وعبر هذا الصالون تفتحت آفاق بن نبي على أشياء جديدة، كنضال الأمير خالد وأنباء مصطفى كمال وتحركات الحركة الإصلاحية⁽¹⁾.

بالإضافة إلى هذا فقد سجل في تجربته للبحث عن عمل يضمن مستقبله عدة وقفات سمحت له بالتعرف على عمق المجتمع الجزائري من خلال تنقلاته حيث يقول : " ... وإنني الآن أعلم أن المسلم قد احتفظ بقيمته في سائر محن الحياة، وأعلم أنه حتى في ظروف الحياة الخشنة... فالإسلام قد صقل الإنسان في شروط أقرب إلى أخلاق الحضارة " ⁽²⁾ ، كما جعلته هذه التجربة يشعر بالمعاناة ويعيشها في نفسه كأحد أبناء المستعمرات، يقول مالك بن نبي: "كان هؤلاء الأوروبيون يستقطبون تفكيري وخاصة طلاب المدارس الثانوية منهم، حيث كنت أراهم أيام

(1) - المرجع نفسه، ص 60.

(2) - مالك بن نبي، مذكرات شاهد القرن. مرجع سابق، ص 162.

الأحد يتنزهون تحت إشراف ناظر مدرستهم
مرتدين زيّهم من الجوخ الغامق، وكان الخيال
ينطلق بي معهم فهؤلاء سيصبحون محامين
وأطباء وأساتذة أما أنا فقد حكم علي أن
أكون عدلا ⁽¹⁾.

هذه الأحداث وغيرها التي حاول بن نبي
دراساتها وتفهمها، طبعت تفكيره بطابع جعله
يتميز عن باقي المفكرين.

2 - المحيط الفرنسي:

إلى جانب الدروس المستفادة والرصيد
المتأتي من نشأته وترعرعه في البيئة
الجزائرية المحلية، فإن لمعايشته
للمحيط الفرنسي مدة تتجاوز الخمسة
والعشرين عاما لها إسهاما خاصا في صقل
المرجعية الفكرية للمفكر من خلال تعرفه على
حضارة تختلف عن التي عرفها في بداية
حياته.

2- أ / البيئة العائلية:

على المستوى العائلي فقد عرفنا أن
عائلة مالك بن نبي المحافظة، غذته

(1) - المرجع نفسه، ص51.

بالشعور الديني والقيم الإسلامية التي وجدت سبيلها إلى عقله وكونت لديه وجهة إسلامية عميقة في معالجة وضع العالم الإسلامي، فكان الإسلام وتراثه بحق حاضرا، وبقوة في بلورة مرجعيته الفكرية، وفي المقابل فإن الغرب وحضارته سجل حضوره كذلك في تكوين مرجعية المفكر، فأسرته التي بناها في فرنسا مع زوجته الفرنسية المسلمة أتاحت له فرصة التعرف على الوجه الأصيل للحضارة الغربية، حيث يقول عن زوجته خديجة: " مضت زوجتي تتفنن من أجل توفير جميع وسائل الراحة داخل البيت حتى من الناحية الفكرية ... لقد كنت أرى في تلك الأشياء القيم الحضارية التي أصبحت الشغل الشاغل بالنسبة لي من الناحية النظرية، ولكن زوجتي ألبستها لباسها وصيرتها ملموسة أمامي " (1).

2 - ب / البيئة الاجتماعية:

أتيح لمالك بن نبي الوقوف على عدة جوانب حضارية أثناء تواجده في فرنسا، وكان من أول ما جلب اهتمامه التطور العلمي والتكنولوجي، والذي سجله بمتحف الفنون

(1) - مالك بن نبي، مذكرات شاهد للقرن. مرجع سابق، ص 298.

والصناعات بباريس فقد لمس الفرق بين ما تركه في بلده من تخلف علمي وتكنولوجي، وبين ما وجدته من تقدم مذهل مما أثر عليه فكريا وتركه يعيد زيارته لهذا المتحف الذي لم يبق بالنسبة إليه مجرد مكان جمعت فيه غرائب وعجائب ما أنتجه الفن والصناعة، ولكنه المستودع الذي أودعت فيه الحضارة أعلا ما أنتجته عبقريتها العلمية والتكنولوجية بوصفها شهادات أمام التاريخ على مراحلها المختلفة⁽¹⁾.

إضافة إلى ذلك فإن انتظامه في مدرسة اللاسلكي أكسبه المنهج الرياضي وأتاح "للمعلومات الكهربائية أن تغطي بين الآونة والأخرى على تفكيره، فإذا كلمك عن مسألة وشرحها ودعمها بالحجج الدامغة التي لا تقبل الجدل، قال لك هذه قضية رياضية " (2).

كما فتحت له سلسلة " الأب مورو" عالم ا جديدا يخضع فيه كل شيء للمقياس الدقيق في الكم والكيف ويتسم فيه

(1) - المرجع نفسه ، ص219.

(2) - عبد اللطيف عبادة، صفقات مشرقة من فكر مالك بن نبي. مرجع سابق ، ص 18 .

الفرد أول ما يتسم بال ضبط والملاحظة ⁽¹⁾ ،
ومن الشخصيات التي سجلت طابعها على تفكير
بن نبي صديقه حمودة بن ساعي، فقد اعترف
مالك بن نبي بأن لصديقه في باريس تأثيرا
كبيرا عليه ، ويقول بأنهما وضعا مشاريع
فكرية لإنجازها سويا لأنهما كما ذكر بن نبي
أنهما نهلا من مشرب واحد فيما يخص دور
الإسلام بال نهوض بالشعوب الإسلامية ودور
الطالب في هذه النهضة ، ويقول عن صديقه "
... ولكن بعد أربعين سنة عندما تعود إلى
اليوم بعض الذكريات تلك الفترة ، أدرك أنني
على أية حال أدين لحمودة بن ساعي باتجاهي
كاتباً متخصصاً في شؤون العالم الإسلامي " ⁽²⁾ .

وفي هذا الإطار لا ينبغي أن نهمل موجه
آخر يمثله أعضاء الوحدة المسيحية للشبان
الباريسيين، فقد كانت هذه الوحدة المكان
الذي " تكامل فيه تكوينه الروحي والذي
تفتح فيه ضميره على كل المشكلات التي شغلت
حياته فيما بعد " ⁽³⁾ .

(1) - مالك بن نبي، مذكرات شاهد للقرن. مرجع سابق، ص 235.

(2) - الطاهر سعود، التخلف والتنمية في فكر مالك بن نبي. مرجع سابق، ص 61.

(3) - عباسي نعمان، الرؤية السوسيولوجية في فكر مالك بن نبي. مرجع سابق ، ص 49-50.

وتمثل بعض الشخصيات التي ذكرها في مذكراته كبعض الفرنسيين الذين أسلموا مثل "جوجلاري" و"أنا كليتو" مزاجية مثيرة استدعت انتباهه فقد أفاده في تأكيد وتبلور تصوراته النظرية والاجتماعية وربطها بواقع المسلمين ومشكلاتهم الحضارية⁽¹⁾.

3- القراءات:

إلى جانب ما عرفناه سابقا من تأثير البيئة المتمثلة في الظروف الاجتماعية والاقتصادية والعلاقات الشخصية على مرجعية المفكر، كذلك فإن تكوينه النظري كان حاضرا من خلال قراءاته الدقيقة والمركزة فالمتصفح لأي كتاب من كتبه "يكتشف مدى الثراء الذي تنطوي عليه، سواء من حيث المادة التحليلية ومن حيث ما يستعمله من مراجع ومصادر ينطلق منها إما مقتبسا، وإما ناقدا أو محاورا أو مقدا لأطروحات غير معهودة تمتاز بالأصالة والجدة"⁽²⁾.

لقد كان لقراءاته المتنوعة أثر على توجهه الفكري حيث قرأ كتاب "التدهور

(1) - الطاهر سعودي، التخلف والتنمية في فكر مالك بن نبي. مرجع سابق، ص 58.

(2) - مالك بن نبي، مذكرات شاهد للقرن. مرجع سابق، ص 66.

الأخلاقي للسياسة الغربية" في الشرق للشيخ أحمد رضا، رسالة التوحيد للشيخ محمد عبده، حيث قال عن هذين المؤلفين أنه مدين لهما بتحول فكره منذ تلك الفترة⁽¹⁾. وقرأ أيضا كتاب " أم القرى " للشيخ الكواكبي، كما استهوته قراءة الشعر العربي الحديث والقديم، وإن كانت السياسة الاستعمارية في الجزائر تعمل على عرقلة وصول المطبوعات العربية، فإن الحركة الاجتماعية التي شهدتها الجزائر منذ عشرينات القرن العشرين قد سمحت لابن نبي من النهل من الصحف والمجلات التي تصدرها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين كالشهاب، صحيفة الإنسانية " L'humanité " الشيوعية وغيرها، وفي مقابل المطبوعات العربية كانت تلك المكتوبة بالفرنسية منتشرة، مما أتاح لمالك بن نبي أن يقرأ العديد من هذه المؤلفات الأدبية والتاريخية والفلسفية والاجتماعية، مما أسهم في عمق تفكيره وشمولية معرفته، وقدرته على التحليل وإيراد الأمثلة في سياق كتاباته

(1) - المرجع نفسه، ص 66.

وأحاديثه⁽¹⁾، والمفكر بن نبي " كان كثير الاهتمام بالقرآن الكريم، لأنه مفكر مسلم جعل القرآن الكريم هو فكرة وأساس انطلاقه " (2) وفي هذا الإطار كتب بن نبي في مذكراته يقول " ... فبقيت تغامرني فكرة كمهندس ينشأ إحدى الصناعات، وأخرى كطالب أزهري يبحث في مناهج التفسير" (3).

وهكذا فقد تغلغل المفكر باحثا عن أسباب تخلف العالم الإسلامي وسبل بعث حضارته من جديد وما هي الشروط النفسية والموضوعية لذلك، ليستقر به البحث عند نقطة جوهرية وهي أن القرآن الكريم الذي بعث الحضارة الإسلامية قديما هو وحده القادر على بعث هذه الحضارة اليوم، لأنه وحده الكفيل بإكساب الإنسان المسلم الحديث الفعالية الروحية التي هي منطلق البناء الحضاري المنشود" (4).

إن الأستاذ بن نبي " قد اطلع على الروح العلمية من مصادرها فقد اطلع عليها عند

(1) - عباسي نعمان، الرؤية السوسبولوجية في فكر مالك بن نبي. مرجع سابق، ص 46.

(2) - محمد دراجي، معلم منهج حضاري في تفسير القرآن الكريم عند الأستاذ مالك بن نبي والشيخ محمد الغزالي. دار البلاغ للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 1، 1423/2002، ص 17.

(3) - مالك بن نبي، مذكرات شاهد للقرن. مرجع سابق، ص 220.

(4) - محمد دراجي، معلم منهج حضاري في تفسير القرآن الكريم. مرجع سابق، ص 6.

ابن خلدون الذي كان محل احترام كبير لديه " (1) واطلع عليها كذلك عند بعض المفكرين الغربيين البارزين مثل " نيتشه " في كتابه " هكذا تكلم زراداشت "، و قد شغله كما قال فكرة " كانط " عن الحق و الواجب التي تمثل عند بن نبي معادلة التفسير الاجتماعي، كما كان " جون ديوي " حاضرا من الجانب التربوي لمشروعه الفكري من خلال الأبعاد البراغماتية (2).

لقد كانت اطلاعات بن نبي متنوعة وثرية في شتى الميادين لأنها كانت أكثر من أن تحصى وأكثر من أن تدرس في هذه الصفحات لذا فقد اكتفينا بذكر نماذج كان لها الأثر البارز في صقل مرجعيته الفكرية.

كخلاصة لدراسة المرجعية الفكرية للأستاذ بن نبي تؤكد الباحثة نورة خالد سعد على مشربين أساسيين استقى منهما بن نبي مرجعيته الفكرية وذلك منذ المرحلة الابتدائية من تعلمه هما:

أ - الارتباط بالإسلام وتراثه.

(1) - عبد اللطيف عبادة، صفقات مشرقة من فكر مالك بن نبي. مرجع سابق، ص 30.

(2) - عباسي نعمان، الرؤية السوسيولوجية في فكر مالك بن نبي. مرجع سابق، ص 47.

ب- الانفتاح على الحضارة الغربية وعلومها .

ويعد هذين العاملين الموجهان الأساسيان ، فإن طبيعة البيئة الاجتماعية بكل مؤثراتها التي سادت مرحلة نشوء المفكر وامتدت إلى مراحل متقدمة من ريعان شبابه قد تشكلت بصفة أساسية - فكرا وواقعا - من الإسلام والمسلمين، ومن الحضارة الغربية، وأبنائها وهذا الحضور المستمر والمتلازم لهذين المرجعين نشده بين الكتاب والمدرسة الرسمية، وفي تجاربه المعيشية في مجتمعين : الجزائري والفرنسي، بين الجزائريين والمستوطنين، أو بين المهاجرين والفرنسيين⁽¹⁾.

المبحث الثاني

موقع الفكر الاقتصادي في كتابات مالك بن نبي

خلف لنا الأستاذ مالك بن نبي إنتاجا فكريا وعلميا تميز بالدقة المنهجية والجدية في طرح المشاكل، والتفاني في إيجاد الحلول لها، حيث انكبّ على مشاكل العالم الإسلامي يدرسها محلا وناقدا ومنظّرا، واتجه نحو تحليل الأهداف التي كانت تحيط به

(1) - عباسي نعمان ، الرؤية السوسيولوجية في فكر مالك بن نبي. مرجع سابق، ص ص 45-46.

وقد أعطته روحه النقدية ودراساته واحتكاكه بالأوساط الثقافية المختلفة قدرة على إبراز مشكلة العالم المتخلف باعتبارها قضية حضارية بالدرجة الأولى، فوضع كتبه جميعاً تحت عنوان " مشكلات الحضارة " .

وقد أوردنا هذا المبحث بهدف عرض مؤلفات الأستاذ بن نبي وتبيين الجوانب والسمات العامة لكل مؤلف مع التركيز على الجانب الاقتصادي لاستزادة الفائدة من أفكار مالك بن نبي الاقتصادية ثم إلقاء الضوء على المسائل الهامة في كتابه "المسلم في عالم الاقتصاد" .

المطلب الأول

مؤلفات بن نبي وسماتها العامة

قبل التطرق للسمة العامة لموضوعات مؤلفات الأستاذ بن نبي نبدأ بعرض تراثه الفكري المنشور حسب مراحل حياته في الجدول رقم واحد، كما تجدر الإشارة أن للمفكر أعمالاً أخرى لم تنشر وهي ⁽¹⁾ :

1- خطاب مفتوح لخرتشاف وإيزنهاور؛

(1) - الطاهر سعود ، التخلف والتنمية في فكر مالك بن نبي. مرجع سابق ، ص 67.

- 2- دولة مجتمع السلم (أو مولد مجتمع إسلامي)؛
- 3- مذكرات شاهد لقرن (الجزء الثالث)؛
- 4- العلاقات الاجتماعية و أثر الدين فيها؛
- 5- نموذج لمنهج ثوري؛
- 6- العفن (وهي رواية كتبها في أواخر أيامه بالفرنسية)؛
- 7- المشكلة اليهودية؛
- 8- اليهودية أم النصرانية؛
- 9- دراسة حول النصرانية؛
- 10- مجالس التفكير (محاضرات كان يلقيها في منزله في الجزائر بعد الاستقلال، والمسجل منها باللغة الفرنسية)؛
- 11- مجالس دمشق؛
- 12- محاضرات لم تفرغ من الأشرطة؛
- 13- الإسلام و اليابان في المجموعة الأسبوعية (هو كتاب قدمه إلى السفارة اليابانية بباريس سنة 1940م).

وإذا كان بن نبي غزيرا من حيث الإنتاج الفكري الورقي حوالي 30 مؤلفا، فإنه على الرغم من ذلك لم يكن كما أكد الخالدي

كاتباً محترفاً أو عاملاً منكباً على أشياء
خامدة من الورق والكلمات⁽¹⁾، وإنما سعى إلى
أبعد من ذلك، أي إلى بناء جيل يحمل في
عقله وروحه همّ النهضة وهو ما مارسه عبر
ندواته الفكرية التي كان يعقدها في باريس
والقاهرة ودمشق وفي الجزائر بعد تفرغه
للعمل الفكري والتي أنتجت طبقة فكرية
وثقافية تنتشر رموزها في كثير من مواقع
الريادة في الجامعات والمعاهد وشتى أنحاء
العالم الإسلامي⁽²⁾.

وتحديداً للسمات العامة لكتب مالك بن
نبي يمكن القول أن كتاب "الظاهرة
القرآنية" هو محاولة نظرية عن القرآن
الكريم، ويحتوي على مقدمة وثلاثة أبواب
تتوزع على أحد عشر فصلاً، يتحدث في الباب
الأول عن الظاهرة القرآنية، وفي الباب
الثاني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي
الباب الثالث عن الرسالة، أما كتابه
"لبيك" فهو عبارة عن قصة تتسم
بالشاعرية⁽³⁾.

(1) - كتب هذه الكلمة الدكتور عبد العزيز خالدي في مقدمة الطبعة الفرنسية لكتاب شروط النهضة.

(2) - الطاهر سعود، التخلف والتنمية في فكر مالك بن نبي. مرجع سابق، ص 67-68.

(3) - عبد الطيف عبادة، صفحات مشرقة من فكر مالك بن نبي. مرجع سابق، ص 37.

ويحتوي مؤلفه "شروط النهضة" على مقدمة وبابين، خصص الباب الأول للحضارة والتاريخ والباب الثاني للمستقبل ويتحدث فيه عن عناصر الحضارة الثلاثة وهي الإنسان والتراب والزمان، وعن أثر الفكرة الدينية في تكوين الحضارة وعن التوجيه الأخلاقي والجمالي وعن توجيه العمل ورأس المال. ويحتوي كتابه "وجهة العالم الإسلامي" على مدخل وستة فصول وخاتمة ضمنها الحديث عن مجتمع ما بعد الموحدين والنهضة وفوضى العالم الإسلامي وفوضى العالم الغربي، وبواكير العالم الإسلامي. فيما يعد كتاباه "النجدة الشعب الجزائري يباد" و "في مهب معركة" استجابة لانشغال المفكر بالثورة التحريرية، تأييدا وتوجيها، أما كتاباه "الصراع الفكري في البلاد المستعمرة" و "الاستعمار يلجأ إلى الاغتيال بوسائل العلم" فهما بمثابة تحليل للسياسة الاستعمارية في العالم الإسلامي، ومحاولة لكشف أهدافها ووسائلها وتوعية بأخطارها⁽¹⁾، في حين يعتبر كتاب "الفكرة الإفريقية الآسيوية" كحملة تأييد لمؤتمر باندونغ لدول عدم الانحياز، والذي استعاض عنه المفكر بكتابيه "فكرة

(1) - عباسي نعمان، الرؤية السوسولوجية في فكر مالك بن نبي. مرجع سابق، ص55.

كمنويلث إسلامي " بعد أن خيب المؤتمر الأول آماله، إذ نجده في كتابه الأخير يعود إلى طرح الفكرة الدينية من ناحية إسلامية⁽¹⁾، هذا بالإضافة إلى كتب أخرى تحتوي دراسات في مختلف المجالات أبرز من خلالها مشكلة العالم المتخلف باعتبارها قضية حضارية بالدرجة الأولى.

وفيما يلي بيان لمؤلفات مالك بن نبي:

(1) - المرجع نفسه، ص55.

﴿﴾ الأبعاد الحضارية والفنية للنظرية الاقتصادية في فكر مالك بن نبي

عنوان الكتاب	تاريخ إصداره	مكان إصداره	الترجمة إلى العربية	اللغة الأولى التي صدر بها
الظاهرة القرآنية	1365هـ/1946م	الجزائر	عبد الصابور شاهين	الفرنسية
لبيك	1366هـ/1947م	الجزائر	—	الفرنسية
شروط النهضة	1367هـ/1948م	الجزائر	عبد الصبور شاهين وعمر مسقاوي	الفرنسية
وجهة العالم الإسلامي	1373هـ/1954م	باريس	عبد الصابور شاهين	الفرنسية
فكرة الإفريقية الآسيوية	1375هـ/1956م	القاهرة	عبد الصابور شاهين	الفرنسية
النجدة الشعب الجزائري يباد	1376هـ/1957م	القاهرة	—	الفرنسية
مشكلة الثقافة	1378هـ/1959م	القاهرة	عبد الصابور شاهين	الفرنسية
حديث في البناء الجديد	1379هـ/1960م	بيروت	—	الفرنسية
الصراع الفكري في البلاد المستعمرة	1379هـ/1960م	القاهرة	—	العربية

عنوان الكتاب	تاريخ إصداره	مكان إصداره	الترجمة إلى العربية	اللغة الأولى التي صدر بها
الصعوبات علامات النمو في المجتمع العربي	1379هـ/1960م	القاهرة	_____	_____
الاستعمار يلجأ إلى الاغتيال بوسائل العلم	1379هـ/1960م	القاهرة	_____	_____
فكرة كومنويلث إسلامي	1379هـ/1960م	القاهرة	الطيب الشريف	الفرنسية
تأملات في المجتمع العربي	1380هـ/1961م	القاهرة	عبد الصابور شاهين	الفرنسية
في مهب المعركة	1380هـ/1962م	القاهرة	مالك بن نبي بالاشتراك مع عمر مسقاوي	الفرنسية
ميلاد مجتمع - شبكة العلاقات الاجتماعية -	1381هـ/1962م	القاهرة	عبد الصابور شاهين	الفرنسية
آفاق جزائرية الحضارة والثقافة والمفاهيمية	1383هـ/1964م	الجزائر	الطيب الشريف	الفرنسية
مذكرات شاهد القرن (الطفل الطالب)	1384هـ/1965م	الجزائر	عبد المجيد النعني	الفرنسية

عنوان الكتاب	تاريخ إصداره	مكان إصداره	الترجمة إلى العربية	اللغة الأولى التي صدر بها
انتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث	1389هـ/1969م	القاهرة	عبد الصابور شاهين	الفرنسية
مذكرات شاهد للقرن (الطالب)	1390هـ/1970م	بيروت	مالك بن نبي	الفرنسية
مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي	1391هـ/1972م	بيروت	محمد عبد العظيم علي	الفرنسية
المسلم في عالم الاقتصاد	1392هـ/1972م	بيروت	—	العربية
دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين	1392هـ/1972م	بيروت	—	العربية
بين الرشاد والتيه	1398هـ/1978م	طرابلس	جمعها وترجمها بنفسه	الفرنسية
من أجل التغيير	1990م	بيروت	عمر مسقاوي بسام بركة	الفرنسية

المطلب الثاني كتاب "المسلم في عالم الاقتصاد" وأهميته

ينطلق الأستاذ مالك بن نبي في كتابه "المسلم في عالم الاقتصاد" من تفكيره كعربي مسلم ومفكر من دول العالم الثالث بعيدا عن أي إقليمية ضيقة، فتعبيره بلادنا يعني العالم العربي والإسلامي⁽¹⁾.

ويعد كتابه هذا من أحسن ما كتب من حيث التأصيل والتحليل حيث نجده ثريا بأفكار مستجدة وقضايا ربطها بالواقع، فالمسلم في ذلك الوقت وحتى في يومنا هذا في أمس الحاجة إلى وعي اقتصادي يصله بعالم الاقتصاد ويعرفه بمفاهيمه، وهو من آخر كتبه، انتهى منه في مارس 1972 م⁽²⁾. وقد ضمنه مقدمة وثلاثة أجزاء ففي المقدمة نجد تحديدا لموقع المسلم في عالم الاقتصاد الذي رسم نصفه بقلم الليبيرالي آدم سميث والنصف الآخر بقلم المادي ماركس، وفي الجزء الأول أعطى صورة عن العلاقات الاقتصادية

(1) - عمر بن قينة، شخصيات جزائرية. مرجع سابق، ص 76.

(2) - المرجع نفسه، ص 76.

الراهنة في العالم، فالاقتصاد في الغرب قد صار منذ قرون خلت ركيزة أساسية للحياة الاجتماعية وقانونا جوهريا لتنظيمها، أما في الشرق فقد ظل على عكس من ذلك في مرحلة الاقتصاد الطبيعي غير المنتظم حتى إن النظرية الوحيدة التي تناولت تأثير العوامل الاقتصادية في التاريخ وهي نظرية ابن خلدون* قد ظلت حروفا ميتة في الثقافة الإسلامية حتى نهاية القرن الأخير، فلم يقبل المجتمع الشرقي تحت تأثير احتياجاته الداخلية على أن يضع نظرية اقتصادية كما حدث في المجتمع الغربي حين وضع الرأسمالية والشيوعية⁽¹⁾.

اعتبر مالك بن نبي الإطار الإنساني الممتد من طنجة إلى جاكرتا، والذي يمثل النموذج الاجتماعي الجائع والعارى عكس المشهد الإنساني على محور واشنطن - موسكو، الشيء الذي دفع العالم الإسلامي إلى

* ابن خلدون عبد الرحمان (732 - 808 / 1332 - 1406) مؤرخ و فيلسوف عربي يعتبر أحد أعظم المفكرين ، ولد ونشأ بتونس رحل إلى مصر فتولى فيها القضاء المالكية ، ووضع كتابه المتميز " العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر " ، المعروف اختصارا بـ " المقدمة " جعلت منه مؤسسا لفلسفة التاريخ وعلم الاجتماع ، و قد عبر عن علم الاقتصاد في مقدمته بعلم العمران.

(1) - مالك بن نبي ، المسلم في عالم الاقتصاد . مرجع سابق ، ص 16.

المعايشة والاقتصادانية التي قال عنها مالك بن نبي بأنها من إفراز كائنات أميبية جسدت القابلية للاستعمار وتجسد التخلف اليوم⁽¹⁾، كما بين في هذا الجزء تعثر الفكر الإسلامي لأنه حصر تفكيره في الموجود من المناهج الاقتصادية، وأن النشاط الاقتصادي لا يمكن من دون تدخل المال⁽²⁾.

أما في الجزء الثاني من هذا الكتاب فحاول فيه إعطاء صورة عن توزيع الإمكانات الاقتصادية في العالم، وحدود التغيير الاقتصادي لهذا التوزيع والأسس الحضارية لذلك، حيث جاءت معالجة مالك بن نبي لهذه المواضيع في سياق الإجابة عن سؤال " بصدد كيفية توزيع الإمكانات الاقتصادية، لماذا وعلى أي أساس يقوم ذلك التوزيع " ⁽³⁾، وفي بداية معالجته للموضوع اعتمد على كيفية توزيع متوسط الدخل السنوي في العالم، ولخص ذلك في خريطة اعتمد فيها على إحصائيات الأمم المتحدة سنة 1967م، ورغم أمله الكبير في جهود العالم الإسلامي فإنه يلح على ضرورة النظرة الواقعية والموضوعية في

(1) - مالك بن نبي ، المسلم في عالم الاقتصاد. مرجع سابق ، ص 37.

(2) - المرجع نفسه، ص 42.

(3) - المرجع نفسه، ص 56.

احتياجات المجتمع المسلم ، ويبقى على أصحاب الاختصاص تحمل مسؤولياتهم في النهوض بمجتمعاتهم ، وتدبر الاختصاصيين لقوله تعالى: { إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ } ⁽¹⁾ ليدركوا أن الآية تنصب على إرادة الإنسان واتجاهه عندما يدرك معنى جديدًا لوجوده في الكون، ولو تدبروا بعد الدراسات المتعمقة في البحث عن جذور الاقتصاد لوصلوا إلى أن الاقتصاد ليس قضية إنشاء بنك وتشديد مصانع بل هو قبل ذلك تشييد الإنسان وإنشاء سلوكه الجديد أمام كل المشكلات، وذلك يرجع لارتباط عالم الاقتصاد بالقيم الحضارية ⁽²⁾ ، وبالنسبة للجزء الثالث جاء تحت عنوان شروط الانطلاق، والتي حصرها في ستة عناصر هي على النحو التالي:

- دور المال في اختزان العمل ؛
- الاستثمار المالي ؛
- الاستثمار الاجتماعي ؛
- تحقيق الديناميكا الاقتصادية على أساس مبدئي ؛

(1) – الرعد، الآية 11.

(2) – مالك بن نبي ، المسلم في عالم الاقتصاد. مرجع سابق، ص 56.

— الأساس الأخلاقي لعمليتي الإنتاج والتوزيع ؛

— المعادلة البيولوجية والمعادلة الاجتماعية للفرد في التجارب الحديثة ؛

— ضرورة الاكتفاء الذاتي والتطور من الاقتصاد الوطني إلى الاقتصاد الجهوي لتحقيق الاكتفاء .

فبإمكان العالم الإسلامي أخذ مكانته الحقيقية بين الأمم إذا عمل بمقتضى هذه العناصر، فالقضية في عالمنا الإسلامي " ليست قضية إمكان مالي، لكنها قضية تعبئة الطاقات الاجتماعية أي الإنسان والتراب والوقت في مشروع تحركه إدارة حضارية لا تحجم أمام الصعوبات " ⁽¹⁾.

وتتمثل شروط الديناميكا الاقتصادية في صورتين مسلمتين اثنتين :

1 - لقمة العيش حق لكل فم ؛

2 - العمل واجب على كل ساعد .

رغم التجارب الكثيرة فإن المجتمع الإسلامي " أجدر من يحقق لنفسه وللإنسانية التجربة التي تعيد إلى عالم الاقتصاد

(1) - مالك بن نبي، المسلم في عالم الاقتصاد . مرجع سابق، ص 71.

أخلاقياته " ⁽¹⁾ وقد لاحظ المؤلف في هذا الجزء " الترابط بين القيم الاقتصادية وكذلك العلاقة بين الحق والواجب، والإنتاج والاستهلاك، وكل وطن كفيل بحل مشكلته أو بعضها على الأقل داخل حدوده وعلى الأمة الإسلامية وفي مقدمتها الأمة العربية أن تعيد النظر في اقتصادها تجنباً للتبعية وللخطأ الذي يضطرنا تصحيحه للرجوع إلى الوراء بعد أن يكون الآخرون قد قطعوا أشواطاً أخرى فحاجة البلاد العربية شديدة لإعادة النظر في حياتها الاقتصادية لتحقيق حلقة اقتصادية كاملة داخل حدودها طبقاً لفكرة العيش للجميع والعمل على كل فرد وفي استطاعة العالم العربي أن يعيد للتراب وظيفته وبوسائله حتى في الميدان الفني إذا قرر استعادة العقول العربية المغتربة لأسباب مختلفة، ويعطي المؤلف مثالا على شروط التكامل داخل المجتمع العربي بـ : ليبيا ومصر والكويت ⁽²⁾ .

(1) - المرجع نفسه، ص 80.

(2) - عمر بن قينة، شخصيات جزائرية. مرجع سابق، ص 7.

الفصل الثاني

**الواقع الاقتصادي للعالم الإسلامي
وتحديات الخيارات الاقتصادية المتاحة**

المبحث الأول:

الواقع الاقتصادي للعالم الإسلامي

المبحث الثاني:

تحديات الخيارات الاقتصادية
المتاحة

Y

إن تتبع الوقائع التاريخية والحضارية للأمم كانت بمثابة المخبر الأساسي الذي استقى منه مالك بن نبي الكثير من أطروحاته حول مشكلات الحضارة ، كما تتبّع الكثير من المبادرات والتجارب الذي حفل بها العالم الحديث ليتخذها أدلة على آرائه النقدية والبنائية، فما أكثر ما تحدث عن تجربة إندونيسيا والصين، وما أكثر ما استنتج منهما من دروس .

كما انتقد مالك بن نبي عملية التجميع والتكديس لمنتجات الحضارة الغربية وأكد زيف هذه الطريقة، وانتقد كذلك الاقتصاديين في العالم الإسلامي الذين وقفوا موقف اختيار بين المناهج الاقتصادية الموجودة، وحاولوا تركيب روح إسلامية على جسم أجنبي يرفضها وترفضه، الشيء الذي أدى بالمسلم إلى الاصطدام بروح ومبادئ المذهبين الاشتراكي والرأسمالي .

ولإبراز الجوانب الأساسية لموضوع هذا الفصل قسمناه إل مبحثين :

المبحث الأول: الواقع الاقتصادي للعالم الإسلامي.

المبحث الثاني: تحديات الخيارات الاقتصادية المتاحة.

المبحث الأول:

الواقع الاقتصادي للعالم الإسلامي

إنَّ الحديث عن الواقع الاقتصادي للعالم الإسلامي كما يصفه لنا مالك بن نبي، يقودنا إلى معرفة موقع العالم الإسلامي على خارطة توزيع الإمكانات الاقتصادية في العالم، كما يقودنا أيضا إلى الكشف عن المرحلة الاقتصادية التي يمر بها العالم الإسلامي، وكذا معرفة مظاهر التخلف الاقتصادي في البلاد الإسلامية، والممتدة من حدود جاكرتا شرقا إلى حدود طنجة غربا، ومن هنا سوف نتناول دراسة هذا المبحث فيما يلي:

المطلب الأول

موقع العالم الإسلامي من خارطة توزيع الإمكانات الاقتصادية في العالم

يعتمد مالك بن نبي في رسم خارطة توزيع الإمكانات الاقتصادية في العالم على توزيع متوسط الدخل السنوي للفرد في العالم، ويعتبر أن لهذا المعيار دلالة مهمة على درجة التقدم في بلاد ما، بشرط أن يكون هذا المعيار خاضعا لتفسير معنى اقتصادي بحت، وفي رسمه لخارطة توزيع الإمكانات الاقتصادية في العالم، وضع رقم 3020 دولار للولايات المتحدة الأمريكية كأعلى متوسط للدخل الفردي السنوي على هذه الخريطة، وعلى الرقم 70 دولار لإندونيسيا، كأقل متوسط للدخل الفردي السنوي على هذه الخريطة، وتنحصر داخل هذين الرقمين متوسط الدخل الفردية السنوية لحوالي مائة وخمسين (150) دولة في العالم⁽¹⁾.

ثم قام مالك بن نبي بتوزيع هذه الدخول على الخريطة الجغرافية للعالم، وقد تفاجأ من نتيجة هذا التوزيع من حيث لم يكن هذا

(1) - مالك بن نبي، المسلم في عالم الاقتصاد. مرجع سابق، ص 50.

التوزيع في رأيه عفويًا، وبطريقة فوضوية على الخريطة الجغرافية للعالم.

إنّ هذا التوزيع لمتوسط الدخل الفردية السنوية السابقة على الخريطة الجغرافية للعالم قد صوّر لنا خارطة للعالم تتشكل من قارتين اقتصاديتين يفصلهما خط عرض 30° تقريبا، والذي يقابلها حسب مالك بن نبي الرقم 250 دولار والذي يعتبر كمتوسط للدخل الفردي السنوي، وهو يمثل عتبة الصعود إلى القارة الاقتصادية الشمالية المتقدمة، ويشير مالك بن نبي أن الحالات الشاذة التي تظهر في رسم هذه الخريطة لا يمكن اعتمادها هنا، لأن الأمر كما يقول يتعلق بدراسة قضية اقتصادية، وليس تقديم درس في الجغرافيا، ومن هنا اعتبر مالك بن نبي مكان استراليا ونيوزيلاندا ليس في القارة الاقتصادية الجنوبية، بل في الشمالية، مستندًا في ذلك إلى كل الاعتبارات التاريخية والثقافية والعنصرية التي تربط هذين البلدين بأوروبا وأمريكا⁽¹⁾.

وبعد تحديد مالك بن نبي لخريطة توزيع الإمكانات الاقتصادية في العالم تساءل عن

(1) - مالك بن نبي ، المسلم في عالم الاقتصاد . مرجع سابق، ص52.

سبب هذا التوزيع الغريب، والذي تجسّد في قارتين، قارة اقتصادية شمالية متقدمة، وقارة اقتصادية جنوبية متخلفة، ودول العالم الإسلامي كلها تقع تحت هذه الأخيرة.

إنّ مالك بن نبي يرفض التفسير الاقتصادي البحت لهذا التوزيع الغريب، ويبرّر رفضه هذا بأن كل المخططات التنموية التي استهدفت النهوض بالجنوب، بعد الحرب العالمية الثانية معتمدة في تفسيرها لظاهرة التخلف الاقتصادي للعالم الثالث على التفسير الاقتصادي البحت، حيث اعتبرت وجود الصناعة في القطاع الشمالي وفقدانها في الجنوب هو الذي أدى إلى هذا التوزيع الغريب للإمكانيات الاقتصادية في العالم، لكن هل أحدثت هذه السياسات التنموية أي تغيير على خارطة توزيع الإمكانيات الاقتصادية في العالم؟.

إنّ الإحصاءات حسب مالك بن نبي تدل دلالة واضحة على أنه لم يتغير شيء نسبياً في صورة ذلك التوزيع الغريب، فالبلدان المتخلفة ازدادت تخلفاً والبلدان المتقدمة ازدادت تقدماً، ومن هنا استنتج مالك بن نبي أن التفسير الاقتصادي وحده لا يعطينا فكرة

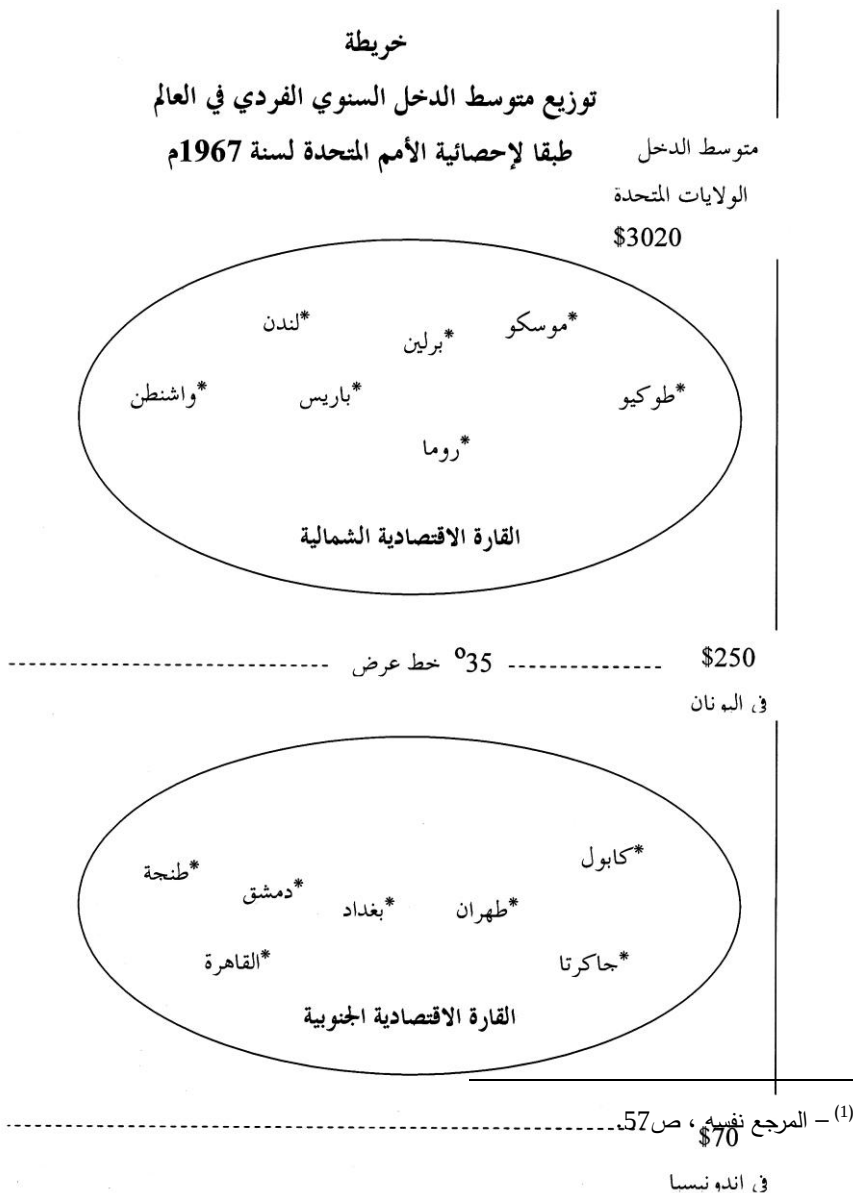
صحيحة عن كيفية معالجة التخلف الاقتصادي، لأنه يربط الأشياء بأسباب قاصرة، فالتفسير الاقتصادي لهذا التوزيع الغريب ضعيف جدًا، وعلى هذا يبقى التساؤل السابق قائمًا لماذا وعلى أيّ أساس يقوم ذلك التوزيع الغريب؟.

إنّ التفسير السابق بوجود التصنيع في القارة الاقتصادية الشمالية لهذا التوزيع الغريب، اعتبره مالك بن نبي بأنه تفسير قاصر لأنه في رأيه يبقى سؤالاً بعد هذا التفسير وهو لماذا انطلق العهد الصناعي في القارة الشمالية منذ اكتشاف الطاقة البخارية؟.

إنّ مالك بن نبي يعتبر المنعطف الجديد الذي اتخذه الفكر الأوربي، والتغيير الجذري الذي حدث في مناخ العقل الأوربي منذ ما يسمى بعصر النهضة هو السبب المباشرة لذلك الانطلاق الصناعي المبكر في القارة الشمالية⁽¹⁾، وعلى هذا يخلص إلى أن الاهتمام بقضية التخلف الاقتصادي في العالم الإسلامي تتطلب النظرة الشاملة والتي تربط الأشياء

(1) - مالك بن نبي ، المسلم في عالم الاقتصاد . مرجع سابق، ص 56.

الاقتصادية بجزورها الاجتماعية والثقافية البعيدة⁽¹⁾.



المطلب الثاني

عدم القدرة على تجاوز المرحلة النباتية في العالم الإسلامي

يرى مالك بن نبي أن المجتمعات تمر في تطورها بعدة مراحل طبيعية، وأول المراحل الطبيعية التي تدخلها هذه المجتمعات بغية تكوين وعيها الاقتصادي هي ما يصطلح عليه مالك بن نبي بالمرحلة التأملية، ويقصد بها تلك المرحلة التي لم يكن فيها للفرد نوع من تصور الحقائق الاقتصادية، فكأنه يعيش في حدود التأمل التائه فقط⁽¹⁾.

أما المرحلة الثانية والتي حسب مالك بن نبي تكون كل دول بلدان العالم الإسلامي قد دخلتها ولكنها عجزت عن تجاوزها هي ما يصطلح عليه مالك بن نبي بالمرحلة النباتية، والتي تدخلها المجتمعات عادة

(1) - هذا ما ذكره عبد الصور شاهين على هامش ترجمته لكتاب الأفروآسوية لمؤلفه مالك بن نبي، ص

عندما تتصل بمنتجات أجنبية وتقف منها موقف المستهلك دون المنتج⁽¹⁾.

ويرى مالك بن نبي أن سبب دخول المجتمعات الإسلامية للمرحلة النباتية تعود في الأساس إلى الصدمة الاستعمارية التي تعرض لها العالم الإسلامي من شرقه إلى غربه، حيث أصبح الرجل المسلم العميل والمستعبد المشغّل للاقتصاد الحديث، ومنذ تلك اللحظة بدأ عنصر الحتمية الاقتصادية في المجتمعات الإسلامية، وهكذا انحط الاستعمار برجل التأمل والنظر، بدلا من أن يدخله في جهاز نظامه الخاص، فيجعل منه الرجل ذا الوعي الاقتصادي إذ به يتخذ منه آلة في هذا الجهاز.

وبهذا انتقل الرجل المستعمر فقط من المرحلة التأملية إلى المرحلة النباتية والتي لم يكن له فيها حاجة فأصبحت له حاجات لا يملك أي وسيلة لإشباعها⁽²⁾.

والجدير بالملاحظة، أنّ كل المجتمعات قبل وصولها إلى مرحلة الوعي الاقتصادي تستهلك منتجات الحضارة التي سبقتها غير أنّها في

(1) - سلوى حديدي، مفهوم التبعية عند مالك بن نبي. رسالة ماجستير - غير مشورة - إشراف فتيحة علاب،

قسم العلوم السياسية، جامعة الجزائر، 1994/1995م، ص152.

(2) - مالك بن نبي، الفكرة الأفروآسيوية. مرجع سابق، ص 160.

نفس الوقت تشرع في إنتاجها محليا ،
فاليابان مثلا انتقل من عدم الوعي الاقتصادي
إلى الوعي الاقتصادي دون أن يمر بالمرحلة
النباتية والتي تعني استهلاك دون إنتاج حيث
كان في نفس الوقت المستهلك المنتج لمنتجات
الغرب⁽¹⁾.

ومن هذا يتضح اختلاف العالم الإسلامي
واليابان في اجتياز مرحلة التطور، بالنظر
لطبيعة الموقف الذي اتخذه كل منهم اتجاه
منتجات الغرب، لقد وصف مالك بن نبي مظاهر
المرحلة النباتية في واقع العالم الإسلامي
بعد الصدمة الاستعمارية الذي تعرض لها،
بكلام جميل أورده في مقدمة كتابه المسلم في
عالم الاقتصاد حيث يقول فيه: "لم يكن
المسلم عندما فتح عينيه في عالم الاقتصاد
بعد أن نالته الصدمة الاستعمارية، سوى قنَّ
يُسخر لكل عمل يريده الاستعمار، فينتج
المطاط في حقول الهند الصينية، والفول
السوداني في إفريقيا الاستوائية، والأرز في
بورما، والتوابل والكافور في جاوه
(إندونيسيا) والخمر في الشمال الأفريقي،
لم تكن له في هذه الأعمال صلة موضوعية

(1) - سلوى حديد ، مفهوم التبعية عند مالك بن نبي. مرجع سابق ، ص 52.

بعالم الاقتصاد ... لم يكن المنتج الذي يُرعى حقه ولا المستهلك الذي تُرعى حاجته، لقد كان أداة عمل مستمر فقط، فلم يتكون لديه وعي اقتصادي ... لقد فقد صلته بعالمه الأصيل ففقد أصالته، فكان عندئذ أميل لتقليد الحاجات منه إلى تقليد الوسائل لأنه فقد وعيه الحضاري أيضا" ⁽¹⁾.

المطلب الثالث

الميل إلى التكديس والشيئية في العالم الإسلامي

التكديس عند المفكر مالك بن نبي ظاهرة طبيعية تحدث في مرحلة من مراحل تطور المجتمعات، وهي مرحلة الانحطاط والتي ينعدم فيها التفكير والتنظيم داخل المجتمع، حيث يحصل أن تُكس هذه المجتمعات منتجات غيرها وربما يخرج لها من التكديس شيء إيجابي في هذه المرحلة.

إن الشيء الذي يعتبره مالك بن نبي مخالف لسنن التطور المجتمعي هو أن تلجأ المجتمعات إلى التكديس في مراحل نهضتها، كما تفعله حاليا المجتمعات الإسلامية ⁽²⁾،

(1) - مالك بن نبي، المسلم في عالم الاقتصاد . مرجع سابق ، ص 07.

(2) - مالك بن نبي، تأملات. دار الفكر، دمشق، سوريا، دط، دت، ص 164.

رغم أنّها في مرحلة تسعى فيها إلى توجيه جهودها الاجتماعية نحو تحصيل حضارة أو كما يصطلح عليه مالك بن نبي بـ "بادرة حضارة" (1).

إنّ على المجتمعات الإسلامية أن تدرك بأنّ تكديس منتجات الحضارة الغربية لا يأتي بالحضارة، فليس من الواجب لكي تنشئ حضارة أن تشتري كل منتجاتها الأخرى، لأن هذا المنطق يقودنا في الأخير إلى عملية اقتصادية مستحيلة كمّا وكيفًا، فأشياء الحضارة لا تعد ولا تحصى، ثم إن الحضارة هي التي تكون منتجاتها وليست المنتجات هي التي تكون الحضارة (2).

أيضا يشير مالك بن نبي إلى ظاهرة أخرى من مظاهر التخلف شبيهة بظاهرة التكديس، سيطرت هي الأخرى على الواقع الاقتصادي في العالم الإسلامي، وهي ظاهرة سيطرة الأشياء أو عقلية الشيئية، ومالك بن نبي لا يقول أن الشيئية ظاهرة غريبة على المجتمعات، لكن الغريب في رأيه أن تستمر لمدة طويلة، فكل مجتمع ناشئ يمر حسب مالك بن نبي بمرحلة

(1) - مالك بن نبي، شروط النهضة. مرجع سابق، ص46.

(2) - مالك بن نبي، تأملات. مرجع سابق، ص 167.

طفولة تفرض عليه سيطرة الأشياء قبل أن يدرك قيمة الأفكار، لكن أن تستمر عقلية الشيئية فهذا يعني استمرار طفولية المجتمع في كبره. ⁽¹⁾

إنّ المجتمع الياباني بهرته منتجات الغرب، وتعلق بها كالمجتمع العربي، لكنه عرف كيف يغذي إعجابه بها بأن سعى إلى إنتاجها، قبل أن يخترع منتجاته اليابانية مائة في مائة فكانت له أحسن طريقة للإقلاع والاستقلال الاقتصاديين، أمّا العالم الإسلامي، لمّا انهالت منتجات الحضارة الغربية على بلاده، اكتفى بمعرفة فائدتها إجمالاً، دون أن يفكر في نقدها، ومن هذا فإن المسلم يكون قد قنع بمعرفة طرق الحصول عليها دون أن يكثر بمعرفة كيف تمّ إبداع هذه الأشياء، وأدى هذا الوضع إلى تطور في الكم، حيث زادت كمية الحاجات في العالم الإسلامي، دون تزداد وسائل إشباعها ⁽²⁾.

وهكذا فإن مالك بن نبي لمّا يتحدث عن الواقع الاقتصادي للعالم الإسلامي، فإنه يركز

(1) - المرجع نفسه، ص 50.

(2) - مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي . ترجمة عبد الصبور شاهين، إشراف ندوة مالك بن نبي، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط 2، 1420-2000 م، ص 65. وانظر: محمد دراجي، معلم منهج حضاري في تفسير القرآن الكريم. مرجع سابق، ص 6.

الاهتمام على مظاهر التخلف في هذا الواقع، ليس على مستوى القطاعات الرئيسية للاقتصاد من زراعة وصناعة وتجارة فحسب، بل يبحث أولاً وقبل كل شيء عن مظاهر هذا التخلف في الفكر والسلوك والذهنية السائدة لدى أفراد المجتمع، لأن الإنسان يشكل أهم وحدة في أي مشروع اقتصادي.

المبحث الثاني

تحديات الخيارات الاقتصادية المتاحة

بعد أن رأينا في المبحث الأول أن التخلف هو الميزة الأساسية لواقع أمتنا الاقتصادي حسب تحليل بن نبي؛ وعرفنا أنها تواجه اليوم مشكلة البناء الاقتصادي، ولتدارك هذا التخلف تحاول أن تسلك سبيل التنمية والتخطيط الاقتصادي، أي محاولة اللحاق بالركب الاقتصادي المتقدم في فترة وجيزة، وهذا ما دفع مثقفينا في مجال الاقتصاد كما يقول مالك بن نبي: " إلى أن يقفوا موقف اختيار وتفضيل بين آدم سميث وماركس " (1)، ومن هنا فقد ضيق الفكر الإسلامي مجال اجتهاده لأنه يفكر على أساس الموجود من المناهج .

(1) - مالك بن نبي ، المسلم في عالم الاقتصاد. مرجع سابق ، ص 09.

ولإبراز جوانب هذا الموضوع قسمنا المبحث إلى ثلاث مطالب:

المطلب الأول حدود اختيار الاتجاه الاقتصادي

الملاحظ أن الفكر الإسلامي الحديث يضيق على نفسه مجال اجتهاده بغير موجب، وذلك بمقتضى مسلمة ضمنية، تتمثل في أن الموجود من المناهج الاقتصادية هو ما يمكن إيجاده، وفي أن النشاط الاقتصادي لا يمكن أن يتم ويزدهر من دون تدخل المال، والمسألة الأولى تضطره إلى الاختيار بين الرأسمالية والشيوعية ونحن نعلم ما فيهما من عيوب، فالرأسمالية عيبها في إباحيتها، والشيوعية عيبها في ماديتها المفرطة⁽¹⁾، وفي هذا يقول مالك بن نبي: " إذا تأملنا الفكر الإسلامي الحديث في مواجهة المشكلات الاقتصادية، نرى أنه يضيق على نفسه مجال اجتهاده، بمقتضى مسلمة ضمنية يمكن حصرها تقريبا فيما يلي :

- أنه يفكر أولا على أساس أن الموجود من المناهج الاقتصادية هو ما يمكن إيجاده .

(1) - عبد الطيف عبادة ،صفحات مشرفة من فكر مالك بن نبي. مرجع سابق ، ص 51.

- إن النشاط الاقتصادي لا يمكن من دون تدخل المال، سواء في صورة استثمار، تنظمه وتشرف عليه قطاعات خاصة أو استثمار تهيمن عليه سلطة سياسية، فيما يسمى القطاع العام.

ومن هنا يبدأ تعثر الفكر الإسلامي بصعوبات تنشأ من طبيعة موقفه من الأشياء لا من طبيعة الأشياء ذاتها⁽¹⁾.

يرى مالك بن نبي أن الفرد المسلم قد استسلم للتقليد في العادات والأذواق الشيء الذي دفعه إلى تقليد الأفكار التي صاغتها تجارب وخبرات غيره، وهذا ما سجل كذلك في المجال الاقتصادي، إذ نجد نخبتنا المثقفة في المجال الاقتصادي كما يقول مالك بن نبي: تقف مجرد موقف اختيار بين ليبرالية (آدم سميث) ومادية (ماركس)، كأنما ليس للمشكلات الاقتصادية سوى الحلول التي يقدمها هذا أو ذاك، دون وقوف عند أسباب الفشل، أو نصف النجاح لخطط التنمية التي طبقت على أساس الليبرالية أو المادية⁽²⁾.

(1) - مالك بن نبي، المسلم في عالم الاقتصاد. مرجع سابق، ص 42.

(2) - المرجع نفسه، ص 80.

ومن هنا فالعالم الإسلامي قد ارتكب خطأ فادحاً، حينما حاول أن يستخدم مناهج خلقت لمجتمعات أخرى، فكل نظام اقتصادي، صمم لمجتمع معين، ولأجل مجتمع محدد، واختلاف المجتمعات يتضمن اختلافاً في الثقافة، وبالتالي ينتج اختلافاً في تكيف المنهج مع هذه المجتمعات المتباينة في تطورها الحضاري، من أجل هذا ظل مالك بن نبي يطالب مسؤولي البلدان النامية أن يبتعدوا عن اقتباس مناهج الدول المتحضرة، لأن هذه المناهج لاتجدي نفعا في تربة لم تخلق لها⁽¹⁾. لذا يلج على أنه أضحي لزاماً على الفقهاء وعلى أصحاب الاقتصاد تقدير مسؤولياتهم بأن القضية ليست قضية تحقيق استمرار الحياة الاقتصادية، بل هي قضية دفع العجلة من أجل إنقاذ السفينة وأهلها، ولو تعطلت من أجل ذلك بعض المصالح الفردية، وفي هذا يقول ملك بن نبي : إن من العوامل التي عطلت نمو الفكر الاقتصادي في العالم الإسلامي ما نراه من طرف بعض العلماء الذين تشددوا في الاعتراض على الاجتهاد الاقتصادي،

(1) - شايف عكاشة ، الصراع الفكري في العالم الإسلامي . دار الفكر، دمشق، سوريا، ط 1 ، 1406 هـ -

(1) اعتراضا يجمّد أحياناً منذ المنطلق ويقول في مكان آخر ينزه فيه الفقهاء مما يوجهه لهم المختصون في الاقتصاد من عتاب ولوم، ومما يرمونهم به من الجمود أحياناً، يقول : يجب أن ننزه فقهاءنا عن هذا العتاب، ونقول إنه ليس من اختصاصهم أن يدلّوا على الحلول الاقتصادية سواء مستنبطة من القرآن والسنة أو غير ذلك، وإنما اختصاصهم أن يقولوا في شأن الحلول التي يقدمها أهل الاختصاص، هل هي تطابق أو لا تطابق الشريعة الإسلامية. (2)

وأخيراً فاختيار الاتجاه الاقتصادي للعالم الإسلامي لا يكون محدّداً بالرأسمالية ولا بالاشتراكية إذا كوّن لنفسه إدارة واضحة للتخلص من التخلف.

المطلب الثاني

اختيار المذهب الاشتراكي

ربما يلتفت المسلم بعد خيبة أمله في الرأسمالية، في الاتجاه الآخر، في اتجاه

(1) - مالك بن نبي، المسلم في عالم الاقتصاد، مرجع سابق، ص 46.

(2) - المرجع نفسه، ص 11.

الاقتصاد الشيوعي، وبكلمة أطف في اتجاه الاقتصاد الاشتراكي، لأنه يحبذ منطلقاته المذهبية غالباً، بل لأنه بعد أن شاهد مساوئ الرأسمالية وتناقضها أخلاقياً وتقنياً مع الفقه الإسلامي، يشاهد نجاح الخطط (الاشتراكية) الاقتصادية⁽¹⁾.

هذه الخطط التي يعتمد عليها المجتمع الماركسي في بناء عالمه الاقتصادي بالرجوع إلى ما جاء في مؤلفات كارل ماركس: (بؤس الفلاسفة) و (نقد الاقتصاد السياسي) ، والجزء الأول من كتاب (رأس المال) ، فقد بحث فيها عن الأسباب التي أدت إلى فساد الحياة الاقتصادية والاجتماعية في المجتمع الرأسمالي، مقررًا أن التطورات الاجتماعية تعود في النهاية إلى العالم الاقتصادي، وأن التاريخ يثبت أن جميع الحركات الثورية في تاريخ الإنسانية، ترجع في نهايتها إلى سبب واحد هو " ثورة الطبقات الفقيرة على أصحاب الأموال " رغبة منها في تحسين ظروفها الاقتصادية⁽²⁾.

(1) - المرجع نفسه ، ص43.

(2) - شايف عكاشة ، الصراع الفكري في العالم الإسلامي. مرجع سابق ، ص 65.

إن روح النظام الاشتراكي يتمثل في سوء الظن بالفرد ومصادرة نزعته إلى التملك والغنى واعتبار مصلحة المجتمع الذي تمثله الدولة فوق كل فرد وكل شيء .

وهذا الاتجاه الاقتصادي يختلف في جوهره ومبادئه عن مبادئ وروح الشريعة الإسلامية ، فالالاقتصاد في المنهج الإسلامي يعدّ بوصفه ظاهرة اجتماعية من العناصر الأساسية التي تؤثر في تشكيل الحياة ، على حين يعد المنهج الشيوعي الاقتصاد بمثابة العنصر الرئيسي الوحيد ، في تشكيل الحياة الاجتماعية في أي مجتمع ، ومن هنا يظهر أن المنهج الشيوعي بخلاف الشريعة الإسلامية إذ يتعصب لعنصر الاقتصاد ويجعل منه الأساس الوحيد الذي تقوم عليه حضارة المجتمع ، بينما يرى المنهج الإسلامي أنّ عنصر الاقتصاد ما هو إلاّ عنصر كبقية العناصر الأخرى⁽¹⁾ .

وهنا أيضا ، سرعان ما يصطدم المسلم ببعض جوانب هذه الخطط الاشتراكية المتعارضة مع الفقه الإسلامي ، مثل تحديد الملكية أو إلغائها ، بقطع النظر عن التعارض الأساسي

(1) - شايف عكاشة ، الصراع الفكري في العالم الإسلامي . مرجع سابق ، ص 71 .

بين المادية والإسلام، تعارضا أعمق من التعارض مع الليبرالية، أو قضية الربا⁽¹⁾.

وعلى ضوء ذلك الاصطدام نحاول أن نقوم بهذه الموازنة البسيطة :

1 - المشكلة الاقتصادية :

اختلف الإسلام في شأن المشكلة الاقتصادية عن وجهة نظر فقهاء الماركسية الذين عرفوها بأنها مشكلة التناقض بين قوى الإنتاج وعلاقات التوزيع، أي مردها أشكال الإنتاج وعدم بلوغ التطور غايته بالتوفيق بين شكل الإنتاج وعلاقات التوزيع، بينما المشكلة الاقتصادية من جهة نظر الإسلام، لاتعدوا أن تكون مشكلة إنسان، فهي لا تنبع من قلة الموارد الطبيعية مما قد يتعذر التغلب عليه، وليست نابعة من عدم بلوغ التطور غايته، مما قد يستتبع إقرار المظالم الاجتماعية عبر المراحل التاريخية، وإنما تتجسد هذه المشكلة في ظلم الإنسان بسوء توزيع الثروة، إلى جانب كفرانه بالنعمة بإهماله استثمار الطبيعة وموقفه السلبي

(1) - مالك بن نبي، المسلم في عالم الاقتصاد. مرجع سابق، ص 44.

منها أو عدم استغلاله جميع المصادر التي
أنعم الله بها عليه استغلالاً تاماً⁽¹⁾.

2- الملكية :

يلغى النظام الاقتصادي الشيوعي الملكية
الفردية إلغاءً مطلقاً، في الوقت الذي يجعل
النظام الاقتصادي الإسلامي الملكية الفردية
تخضع لشروط، كما يحدد للملكية وظيفة
اجتماعية خدمة للمجتمع⁽²⁾.

3- الأرباح :

ترجع الأرباح في النظام الاقتصادي
الماركسي إلى الدولة لعدم وجود السوق،
بينما تعود في النظام الاقتصادي الإسلامي إلى
الفرد والمجتمع بعيداً عن كل أنواع
الاستغلال⁽³⁾.

زيادة على ما تقدم، فإن التكريم الذي
حظي به الإنسان في النظام الإسلامي، قد قضت

(1) - محمد عبد المنعم جمال ، موسوعة الاقتصاد الإسلامي. مرجع سابق، ص 38-39.

(2) - شايف عكاشة ، الصراع الفكري في العالم الإسلامي. مرجع سابق ، ص 72.

(3) - المرجع نفسه، ص 73.

عليه الشيوعية ، إذ يذهب كارل ماركس في تحديده الأسس الحديثة للاقتصاد الشيوعي إلى أن الأفراد في المجتمع ليسوا سوى آلات يسخرها النسق الاقتصادي القائم ، ويتحكم في هذا النسق عامل قوي ينشأ تلقائيا منذ أقدم العصور ، وهو كفاح الطبقات الاجتماعية من أجل تحسين أحوالها المادية⁽¹⁾ .

وفي هذا الاتجاه لم يبق على الاختصاصي أو السياسي المسلم كما يقول مالك بن نبي : إلا أن يطبق المنهج الاشتراكي، دون مراجعة أسسه المذهبية البعيدة ، وأسباب نجاحه في البلاد التي طبقتها على نسبة تمسكها بالفكرة الماركسية بصفاتها عقيدة ، كما يراها دارسون مثل (سيرج بردائيف) أو (فالترشوبرت) ، ودون نظرة في نتائج أو توقعات الفتور عندما يعتري العقيدة الماركسية بدورها ، و يجعلها غير قادرة في الميدان الاقتصادي على تعويض أو تغطية بعض الجوانب السلبية في النظرة الاقتصادية الماركسية ، التي أثرت دون جدال علم الاقتصاد بمفاهيم جديدة مثل فائض القيمة أو الإنتاج على أساس الواحد

(1) - المرجع نفسه، ص 71.

أو الوحدة دون أن تشعر أنها مست الطاقة الإنتاجية في جوهرها⁽¹⁾.

ويتوقع مالك بن نبي الفتور أو الشيخوخة الاجتماعية* في المجتمع الاشتراكي، وأنه سينكشف الضباب عن الحقيقة الاقتصادية الماركسية المجردة من جانبها العقيدي الذي يحقق نجاحها اليوم، فينتهي المجتمع الشيوعي الحديث، مثل المجتمعات الشيوعية السابقة كمجتمع القرامطة الذي أنهار في ومضة بصر، بعد أن هدد الدولة العباسية في عز قوتها، وكالمجتمع الذي سبقه بإيران قبل البعث الإسلامي⁽²⁾.

المطلب الثالث

اختيار المذهب الرأسمالي

تقوم الفكرة التي نشأ عليها المذهب الرأسمالي في عالم الاقتصاد، على احترام الحقوق الفردية، وعلى حرية استغلال الأموال، فروح النظام الرأسمالي يتجلى في تقديس الفرد ومصلحته الشخصية وخبرته التي تكاد

(1) - مالك بن نبي ، المسلم في عالم الاقتصاد. مرجع سابق ، ص 44 .

* يبدو أن النظرة المستقبلية للمفكر تجاه الاشتراكية قد تحققت فعلا .

(2) - مالك بن نبي ، المسلم في عالم الاقتصاد. مرجع سابق ، ص 45 .

تكون مطلقة في تملكه المال وتنميته وإنفاقه، وبهذا يكون الفرد في النظام الرأسمالي هو محور الحركة الاقتصادية، وهو المحرك، وهو الهدف، وما على الدولة إلا أن تترك الحرية الكاملة لهؤلاء الأفراد ليقوموا بنشاطهم الاقتصادي⁽¹⁾.

ولهذا فإذا جنح الفكر الإسلامي إلى هذا المذهب فسرعان ما يصطدم بإباحيته، القائمة على المبدأ الذي عبر عنه آدم سميث في بداية العهد الاقتصادي الحديث، في عبارته الشهيرة " دعه يعمل أتركه يسير"⁽²⁾. ولعل عواقب هذا المذهب تتجلى فيما عانتها المجتمعات الرأسمالية من اضطرابات اجتماعية واقتصادية، فضلاً عن توسيعها للمسافة التي تفصل بين الدماء من الشعب، وبعض الإقطاعيين من أصحاب رؤوس الأموال⁽³⁾، مما يؤدي إلى خلق العقلية النفعية الانتهازية، التي لا تهتم بغيرها ما لم يكن من ورائه كسب، ولا يعنيتها مصلحة المجتمع ولا سيما إذا اصطدمت بمصلحته، ولا يهمها إلا

(1) - يوسف القرضاوي، دور القيم والأخلاق في الاقتصاد الإسلامي . مؤسسة الرسالة، ط 1، 1422هـ - 2002م، ص 86.

(2) - مالك بن نبي، المسلم في عالم الاقتصاد. مرجع سابق، ص 42.

(3) - شايف عكاشة، الصراع الفكري في العالم الإسلامي. مرجع سابق، ص 65.

الربح المادي بأكثر قدر ممكن وبكل سبيل
مستطاع، وخاصة النقود التي هي الإله
المعبود في ظل هذا النظام⁽¹⁾.

والآن يرى المسلم بكل وضوح أين يؤدي
هذا؟، إلى أي اضطراب اجتماعي يؤدي
بالمجتمع الذي يسير هكذا؟، إلى أي
انحرافات ثقافية تنشأ فيه متخذة ردود
أفعال ضرورية أمام إفراط الإنتاج وتفريط في
التوزيع؟، فتنشأ الماركسية مثلاً وتقوم على
أساسها الثورات الشيوعية لتعيد المياه
لمجاريها في عالم الاقتصاد حسب زعمها.

ولا يصطدم المسلم في هذا الاتجاه بروح
الرأسمالية فقط، والتي هي روح العقيدة
المسيحية بما تتضمنه من سلوك وأخلاقيات
عملية، بل سيصطدم أيضاً

كما قال مالك بن نبي بشروطها أو بعض
شروطها الفنية⁽²⁾.

وعلى ضوء هذا الاصطدام نحاول أن نقوم
بهذه الموازنة البسيطة:

(1) - يوسف القرضاوي، دور القيم والأخلاق في الاقتصاد الإسلامي. مرجع سابق، ص 86.

(2) - مالك بن نبي، المسلم في عالم الاقتصاد، مرجع سابق، ص 43.

1- المشكلة الاقتصادية :

اختلف الإسلام في شأن المشكلة الاقتصادية عن وجهة نظر فقهاء الرأسمالية الذين قالوا أن مشكلة الاقتصاد هي مشكلة قلة الموارد، أي مردها الطبيعية ذاتها وعجزها عن تلبية الحاجات، بينما المشكلة الاقتصادية من وجهة نظر الإسلام لا تعدو أن تكون مشكلة الإنسان وسوء تنظيمه الاقتصادي وسوء توزيع الثروات والدخول، مما لا علاقة له بالطبيعة وبأشكال الإنتاج⁽¹⁾.

2- الملكية :

يسمح النظام الاقتصادي الرأسمالي بالملكية الفردية إلى ما لا نهاية، في الوقت الذي يجعل النظام الاقتصادي الإسلامي الملكية الفردية تخضع لشروط، كما يحدد للملكية وظيفة اجتماعية لخدمة المجتمع.⁽²⁾

3- الأرباح :

تعود الأرباح في المنهج الرأسمالي إلى الأفراد، بينما تعود في النظام الاقتصادي

(1) - محمد عبد المنعم الجمال، موسوعة الاقتصاد الإسلامي. دار الكتاب المصري، القاهرة، اللبناني، بيروت، لبنان، ط2، 1406هـ - 1986م، ص 38.

(2) - شايف عكاشة، الصراع الفكري في العالم الإسلامي. مرجع سابق، ص 72.

الإسلامي إلى الأفراد والمجتمع بعيداً عن كل أنواع الاستغلال.⁽¹⁾

وبصفة عامة الرأسمالية كما يقول مالك بن نبي تقتضي استثمار المال بوصفه الوسيلة الوحيدة لدفع عجلة الاقتصاد، وإذا بها تلجأ لعملية تجميع الأموال وتركيزها في مؤسسات معينة كالبنوك، لتقوم هي بتوزيعها وتوظيفها في القطاعات الإنتاجية المختلفة، على أساس الربا في عمليتي التجميع والتوزيع.⁽²⁾

وإذا بالمسلم الذي يختار هذا الاتجاه يغوص في محاولة تخليص الرأسمالية من الربا، لأنه محرم في شريعته، وكأنه من الناحية الفنية يحاول تخليص جسد من روحه، ويرجو أن الجسد سيبقى حيّاً وسيقوم بمهامه.⁽³⁾

وفي هذا الإطار تُورد تعليق مالك بن نبي على أطروحة قدمها طالب مسلم في جامعة أمريكية حيث قال: " ذكر لي اسم وعنوان أطروحته أثناء رحلتي إلى الولايات المتحدة

(1) - المرجع نفسه ، ص 73.

(2) - مالك بن نبي، المسلم في عالم الاقتصاد. مرجع سابق ، ص 43 .

(3) - المرجع نفسه، ص 43.

... فهذا الطالب ذكر لي بإعجاب زملائه
وبتقدير أساتذته لأنه تفوق في معالجة موضوع
(الاستثمار بلا ربا) وهذا الموضوع الشائك
يستحق فعلا كل الإعجاب والتقدير، وإنما يبقى
لنا أن نلاحظ أن هذا الاجتهاد الفذ قد انصرف
ضمنًا إلى محاولة توفيق بين الإسلام
والرأسمالية، ويا حبذا لو بذله صاحبه في
اكتشاف طريقة أخرى ما عدا الاستثمار
المالي، لدفع عجلة الاقتصاد⁽¹⁾، وإن نجح في
إيجاد حل نظري في قضية الربا يطابق الفقه
الإسلامي، فيكون كأنه وجد روحًا لا يضمه جسدًا،
أو تناقض مع جسده؛ لأن نظام البنوك يرفض
هذا الروح وهو يرفضه، فيبقى الحل النظري
معلقًا علميًا، لأن صاحبه انطلق على أساس
استثمار المال بصفته منطلق للديناميكا
الاقتصادية دون أن يراجع هذا المبدأ
نفسه⁽²⁾.

وبالتالي يرى الاقتصاديون الإسلاميون، كما
يقول مالك بن نبي : وكأنهم بعد أن اختاروا
ضمنًا المبدأ الليبرالي، يريدون وضع
المسحة الإسلامية عليه، لنرى الجهود الحميدة

(1) - المرجع نفسه، ص 10.

(2) - مالك بن نبي، المسلم في عالم الاقتصاد. مرجع سابق، ص 43.

تنصرف بصورة عامة إلى دراسة النظم المالية في الاقتصاد كأنما هي الأمر الأساسي في الاقتصاد⁽¹⁾. وعلى هذا وجب على كل مسلم في المجال الاقتصادي ، لكي يحقق لأمتة ولإنسانية ما لم تحققه الرأسمالية ، أن يعرف كيف يستخدم تراثه الأساسي ليوفر الشروط المعنوية والمادية التي تتيح للمجتمع المسلم دفع عجلة التنمية.

(1) - المرجع نفسه، ص 10.

الفصل الثالث

عناصر الحركة الاقتصادية على المستوى الحضاري عند مالك بن نبي

المبحث الأول:

عناصر الحركة الاقتصادية على المستويين
العقائدي والروحي

المبحث الثاني:

عناصر الحركة الاقتصادية على المستويين
الاجتماعي والتربوي

المبحث الثالث:

عناصر الحركة الاقتصادية على المستويين
السياسي والفكري

Y

إن استقراء مالك بن نبي للواقع ودراسته لتطور الحضارات، كان بمثابة المخبر الأساسي الذي استقى منه الكثير من طروحاته حول مشكلة البناء الاقتصادي، إذ نجده في تحليله لجوهر الأزمة الاقتصادية للعالم الإسلامي، يدعو إلى إعادة قراءة التاريخ، واستعراض التجارب التنموية التي حققت نجاحا، والتي كان مصيرها الإخفاق، وإلى تعميق الدراسة في الحقائق الاقتصادية، حتى ندرك أبعادها الإنسانية، وكما يرى مالك بن نبي أنه لو نظرنا إلى عالم الاقتصاد على أنه عالم الكميات والأرقام من وسائل إنتاج وإطارات فنية ورؤوس أموال، فإنه سيتبين لنا أن هذه العوامل كلها، ومهما كانت درجة تعقيدها فإن فعاليتها مرتبطة بمدى فعالية الإنسان.

إن التغيرات التي تشاهد نتائجها بعد مدة طويلة في عالم الاقتصاد هي في جوهرها كما يقول مالك بن نبي: تغيرات حضارية تعتري القيم والأذواق والأخلاق في منعطفات التاريخ، فتتغير معالم الحياة بتحول

الإنسان نفسه في إدارته واتجاهه عندما يريد
معنا جديدا لوجوده في الكون.

ومن هنا نحاول في هذا الفصل تحديد
القاعدة التي يتطلبها الانطلاق الاقتصادي
في تصور مالك بن نبي على المستوى
الحضاري، وبشكل عام يمكننا معرفة الأهمية
القصوى التي أعطاها المفكر للعامل
الإنساني في عملية التنمية، والبناء
الاقتصادي، فهي ليست مجرد وسائل إنتاج
وإطارات فنية وأموال، بل هي مرتبطة-كما
أوضح الاستاذ بشير مصيطفى في دراسته
المسألة الاقتصادية في فكر مالك بن نبي-
بأبعاد إنسانية عقائدية وروحية،
 واجتماعية، وتربوية، وسياسية وفكرية.

المبحث الأول

عناصر الحركة الاقتصادية على المستويين

العقائدي والروحي

إن الذي يقرأ كتب مالك بن نبي - رحمه الله تعالى - يدرك بسرعة مدى تركيزه على العامل الإنساني، الذي يدخل في تحديد جميع أنواع نشاطات الإنسان الاجتماعية، بما في ذلك نشاطاته الاقتصادية، فالقرارات التي يتخذها الإنسان يوميا هي نتيجة لدوافع كامنة في باطنه.

كما يدرك القارئ أيضا مدى اهتمام مالك بن نبي بالجانب الروحي للفرد المسلم، وضرورة استغلال العناصر الروحية في تكوين هذا الفرد، الذي تأثر كثيرا بالأوضاع العالمية السائدة، والتي ميزها تخلف واستعمار مفروض على العالم الإسلامي مقابل تطور مذهب للحضارة الغربية، هذا الوضع وعوامل أخرى أثرت سلبا على نفسية الفرد المسلم.

ولما كانت المشكلة الاقتصادية لا يمكن التطرق إليها بدون المرور بعناصرها النفسية، قدم مالك بن نبي دراسات تحليلية ومقارنة لنفسية الفرد المسلم، ومدى تأثيرها على النشاط الاقتصادي وكيف

يمكن تغييرها من حالة نفسية مذمومة إلى حالة نفسية محمودة تساهم بدورها كباقي العناصر الأخرى في الحركة الاقتصادية. وفيما يلي تفصيل ذلك في المطلبين التاليين:

المطلب الأول

عناصر الحركة الاقتصادية على المستوى العقائدي

إن للعقائد التي تسود مجتمعا ما أثر بالغ في السلوك والنشاط الاقتصادي لأفراده، إذ لا يمكننا أن نتصور حركة دون دافع عقائدي في النظام الإسلامي أو دافع إيديولوجي في النظم الوضعية لاسيما في مجال حركة الإعمار أو التنمية، التي تستدعي طاقة دافعة قوية تناسب حجم العجز في الإمكانيات أو في مجال مراقبة استمرار التنمية حيث لا بد من عقيدة متينة ترعى مكاسب الإعمار⁽¹⁾، فليس من شأن أي نظام أن يعيش بلا عقيدة أو

(1) - بشير مصيطفى، المسألة الاقتصادية في فكر مالك بن نبي . مجلة الموافقات، الجزائر، ع3، ذو الحجة

إيديولوجية تنتظم عناصره وفقها ⁽¹⁾ ، ويشير مالك بن نبي إلى هيمنة البعد الإيديولوجي على الخطط الاقتصادية للمجتمعات، فهذا البعد ليس جملة من الأفكار المتناثرة ولكنه الشعاع الموجه للطاقت والسهم الذي يبين لمجموعة ما طريقها في التاريخ، إنه الضرورة التي تطبع الحركة باليد والفكر باتجاه ما ⁽²⁾ ، كما هو شأن المجتمع الروسي، إذ كان للبعد الإيديولوجي أثر كبير في النشاط الاقتصادي، وهذا ما أكده مالك بن نبي بقوله: ولقد تَكُون علم الاقتصاد الاشتراكي على يد ماركس وإنجلز * ، ولكن تأثيره بدأ مع تكوين الضمير الاشتراكي منذ ثورة تشرين الأول (أكتوبر عام 1917م) فلقد صبّ نشاط لينين * ومدرسته مبدأ الاقتصاد الاشتراكي في نفسية الشعب الروسي

(1) - سيد قطب، السلام العالمي والإسلامي. دار الشروق، القاهرة، مصر، 1394هـ / 1974م، ص ص 138 - 139.

(2) - نور الدين بو كروح، مالك بن نبي مفكر كبير وغير معروف . المسار المغربي، الجزائر، 1989، ص 45.

* إنجلز : فريدريك (1820 / 1825) فيلسوف اشتراكي ألماني، يعتبر أقرب رفقاء كارل ماركس إليه وأبرز المساهمين معه في تأسيس الشيوعية الحديثة ، قضى شطرا كبيرا من حياته في إنجلترا ، التقى بماركس عام 1844م وأسهم معه في وضع البيان الشيوعي .

* لينين : فلاديمير إيليتش (1870 / 1924 م) زعيم وكاتب ثوري روسي قاد ثورة أكتوبر عام 1917 م التي حملت الشيوعيين إلى مقام السلطة في روسيا، وأسس الاتحاد السوفياتي، أطاح بحكومة كيرنسكي و أصبح أول رئيس للحكومة السوفياتية الجديدة 1917 / 1924م

وفي عقليته ، وفي حركته أو ديناميكيته .
فالاقتصاد الاشتراكي إذن هو ثمرة التوفيق
بين علم هو العلم الماركسي وبين ضمير هو
وعي الطبقات، وبدون أن نصدر هنا حكما
مطلقا، أي حكما على هذا التوفيق بوصفه
قيمة إنسانية وإنما بوصفه حقيقة، فإننا
نقرر أنه هو الذي ولّد ما يسمونه الطفرة
الإنتاجية⁽¹⁾ ، وهذا ما تكرر مع المجتمع
الصيني الذي يعتقد أن جدّه الأكبر (يكونج)
بإمكانه هزّ الجبال.⁽²⁾

ولا يُغفل مالك بن نبي وهو المهتم
بتجارب الأمم وكيفية الاستفادة منها فقد
تحدث عن الحضارة الأوروبية، إذ يقرّ أن
المجتمع الأوروبي في عصر نهضته أوكل
للعقيدة المسيحية تغذية الروح الأوروبية
لتزويدها بالطاقة اللازمة⁽³⁾ ، وهذا ما أكده
" ماكس فيبر " حينما قدم تفسيراً للتحوّلات
التي طرأت على الخصائص السلوكية أو
السيكولوجية لشعوب الدول الرأسمالية
الغربية، وذهب إلى أن الرأسمالية
الحديثة قد نشأت من خلال العقيدة

(1) - مالك بن نبي، المسلم في عالم الاقتصاد. مرجع سابق، ص 19.

(2) - المرجع نفسه، ص 77.

(3) - المرجع نفسه، ص 63.

البروتستانتية وأخلاقياتها الاقتصادية (1)

فروح الرأسمالية هي نفسها روح العقيدة البروتستانتية بما تتضمنه من سلوك وأخلاقيات عملية، لقد وجدت الأخلاق الاقتصادية في نطاق الديانة البروتستانتية قبل أن تظهر الرأسمالية الحديثة، إذا فروح الرأسمالية ظهرت قبل ظهور الرأسمالية ذاتها (2).

يقول "روجيه باستيد" في كتابه مبادئ علم الاجتماع الديني: فقد بين كثيرا من الاقتصاديين مثل "دولارفيلي" أن رخاء الشعوب يتوقف على عقائدها وعندما يرى المرء أن البروتستانتين اللاتينيين يتفوقون على الشعوب الجرمانية الكاثوليكية في نفس البلاد، وفي نفس الجماعة ومن نفس اللغة والأصل، فمن العسير جدا ألا ينسب تفوق هؤلاء

(1) - سمير الهضيبي، تأملات حول الحل الإسلامي والمشكلة الاقتصادية . الزهراء للإعلام العربي، ص 51.

(2) - السيد محمد الحسين وآخرون، دراسات في التنمية الاجتماعية، ص 40. نقلا عن: سمير الهضيبي، تأملات حول الحل الإسلامي والمشكلة الاقتصادية . مرجع سابق، ص 51.

على أولئك إلى طبيعة العقيدة التي يؤمن بها كل منهم ⁽¹⁾.

وقد يبدوا للمرء أن أوروبا حققت نهضتها بالانفصال عن الدين وليس كما يرى مالك بن نبي بفضل الدين، نقول توضيحا لهذا أن أوروبا لم تنطلق في نهضتها إلا عندما استردت للدين دوره وفعاليته في التاريخ والتي فقدتها في القرون الوسطى بالخوض دون جدوى في عدة مجالات، فتشتت إمكانياته وتعددت مهامه ليساعده على توليد الإرادة الحضارية اللازمة للمجتمع الأوروبي حتى ينطلق في تحقيق إمكانه الحضاري وإثبات نفسه كحضارة عالمية، ثم إن المسيحية كقيم وأفكار لا يمكن أن تكون مسؤولة عما كان يحصل في القرون الوسطى الأوروبية، بل النفس الأوروبية المجتمعية التي كانت بها آنذاك قابلة للخضوع لسلطان الغريزة باسم الدين، وهكذا كانت هذه المراجعة لدور الدين أحسن استثمار له، حيث انطلق العقل و القلب كل

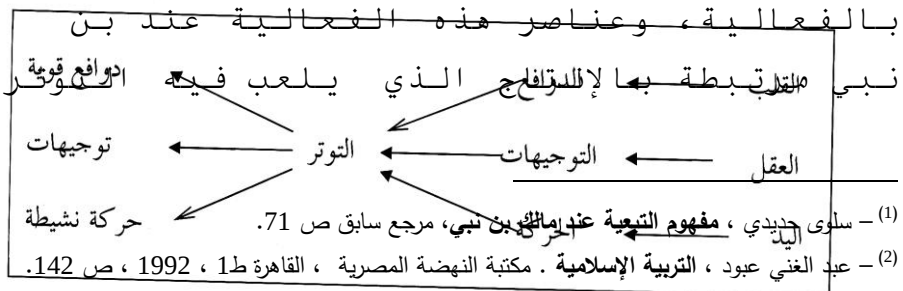
(1) - روجيه باستيد، مبادئ علم الاقتصاد الديني . ترجمة محمود قاسم ، مكتبة الأنجلو المصرية، نقلا عن، سمير الهضيبي، مرجع سابق، ص49.

في مجاله , في عمل متكامل من أجل تحقيق الحضارة ⁽¹⁾.

أما بالنسبة للإنسان المسلم فباست يعابه لفكرة اليوم الآخر في حياته اليومية، يجعل منه إنسانا قادرا على أن يكون عنصرا أكثر إيجابية، وأكثر إنتاجا، وأكثر قدرة على الإضافة إلى الحياة، والاستفادة مما أودعه الله سبحانه من أسباب الحياة أيضا، مما يجعل الفكرة فكرة اقتصادية، أو ذات مردود واضح ⁽²⁾.

إذا فكي نضمن شروط الإقلاع للمجتمع المسلم ينبغي أن يكون الجانب العقائدي مأخوذا بعين الاعتبار في مخططات وبرامج وسياسات المجتمع .

من هذه المنطلقات يتجلى واضحا، أن للعقيدة طاقة دافعة يمكن أن تكون عنصرا فعالا من عناصر الحركة الاقتصادية إن أحسن استغلالها وهذا ما عبر عنه المفكر بن نبي

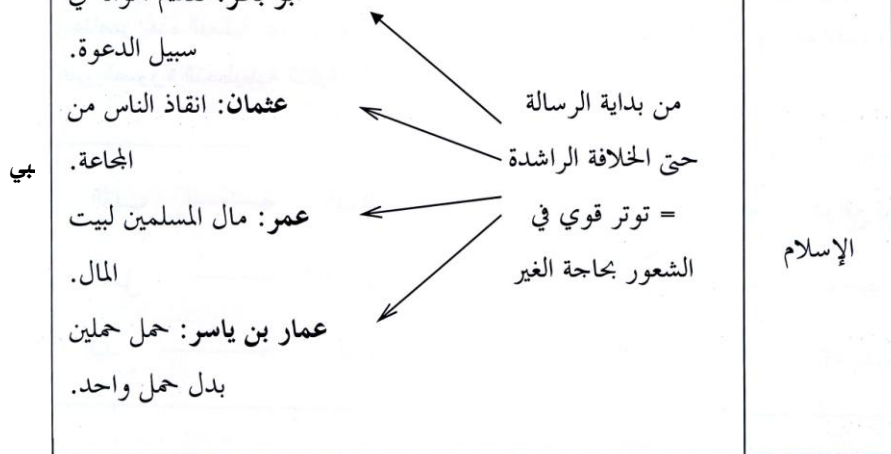


دور المكثف، وهذا على الصورة التخطيطية
التالية: ⁽¹⁾

ويمكننا قياس ذلك على المجتمع الإسلامي
وتاريخ الجاهلية قبله، بالمقارنة بينهما
في دور العقيدة في الحركة الاقتصادية، وذلك
وفق المخطط التالي: ⁽²⁾

(1) - حمودة سعيدي ، مقولة التوتر في البناء الحضاري عند مالك بن نبي ، مجلة الموافقات، مرجع سابق، ص335.

(2) - حمودة سعيدي ، مقولة التوتر في البناء الحضاري عند مالك بن نبي. مرجع سابق ، ص 337.



فالمفكر مالك بن نبي لم ينس أن يستشهد في هذا الاتجاه بالمجتمع الإسلامي الأول، ففي محاضرة ألقاها على طلبة الدفعة الثامنة من ضباط الاحتياط بالأكاديمية العسكرية بشارشال سنة 1973م، حيث يقول: عند بناء مسجد رسول الله في المدينة كان الصحابة يحملون الحجرة حجرة حجرة، وكان عمار بن ياسر يحمل على كتفيه حجرتين مرة واحدة، فرآه النبي صلى الله عليه وسلم فقال له لكل هؤلاء نصيب في الجنة وأنت لك نصيبان. وإن الذي كان يدفع بالصحابي الجليل عمار بن ياسر إلى تحقيق هذا الإمكان في الحمل هو الحافز العقائدي الذي يعبر عنه مالك بن نبي بـ " الوعد الأعلى "، وإن هذا الوعد هو أعلى وعد يمكن أن يتصوره البشر لارتباطه بالحياة الأخروية، فضلا عن الحياة الدنيوية، مما يجعل من

العقيدة الإسلامية أقوى حافز على الإطلاق بين مجموعة الحوافز الأيديولوجية الأخرى⁽¹⁾.

المطلب الثاني

عناصر الحركة الاقتصادية على المستوى

النفسي والروحي

إن وضع الأدوات والآليات الحركية الاقتصادية لا يركز فقط على الجوانب الفنية والمادية المعروفة بل يتطلب شروطا نفسية خاصة، فالحياة الاقتصادية كما يراها مالك بن نبي لا ترتبط فقط بأجهزة ذات طابع فني ومالي ومادي وتنظيمي، بل هي قبل ذلك مرتبطة بأجهزة نفسية موجودة في المعادلة الشخصية لدى الفرد الذي يفكر في الخطط والذي ينفذها، وهذه المعادلة ليست من المعطيات البسيطة التي نجدها تلقائيا في الجهاز الميكانيكي الذي تقتنيه لتجهيز مصنع، ولكنها شيء يكتسب جنبا إلى جنب مع تكوين النمو والثقافة⁽²⁾.

(1) - بشير مصيطفي، المسألة الاقتصادية في فكر مالك بن نبي. مرجع سابق، ص 362.

(2) - مالك بن نبي، بين الرشاد والتية. إشراف ندوة مالك بن نبي، دار الفكر، دمشق، ط3، دت،

ويعلل مالك بن نبي سبب بقاء بلدان العالم الإسلامي متخلفة اقتصاديا رغم تحررها السياسي بأنه جزء متصل بالعوامل النفسية، أي بعناصر المعادلة الإنسانية الخاصة بتلك البلاد التي تتجلى فيها النزاعات المحلية وتأثيرها المعطل، الذي لا يظهر طالما وجدت قواها الإنتاجية تحت سيطرة النظام الاستعماري⁽¹⁾.

ويبرز الأهمية الاقتصادية لهذا التعطيل بصورة جلية عندما يضعها بجانب (2%) وهو الذي يمثل النسبة التقريبية المستثمرة من الدخل في تلك البلاد.

إذا فتناول المشكلة الاقتصادية في هذه البلاد يجب أن يكون ابتداء من عناصرها النفسية، وفي هذا المستوى يكون حلها منحصرا في تكوين وعي اقتصادي يستتبعه تكوين شخصي للفرد في عاداته، وفي نسق نشاطه وفي مواقفه أمام المشاكل الاجتماعية⁽²⁾.

(1) - مالك بن نبي، المسلم في عالم الاقتصاد. مرجع سابق، ص 21.

(2) - مالك بن نبي، المسلم في عالم الاقتصاد. مرجع سابق، ص 21-22.

ولم يكتف مالك بن نبي بالنظرة الساكنة لتحليله لجوهر الأزمة الاقتصادية للعالم الإسلامي، بل نجد الدراسة المقارنة بين أقطار مختلفة من العالم تطبع تفكيره الاقتصادي، فقد أشار المفكر إلى التعارض الشديد في المشهد الإنساني بين محور وانطن - موسكو ومحور طنجة - جاكرتا، واعتبر أن هذا التعارض راجع في جانب منه إلى بنى اقتصادية مختلفة، وفسر المفكر هذه البنى تفسيراً قائماً على جذوره النفسية الثقافية لا على أصولها الاقتصادية، فالمشكلة نفسية بادئ ذي بدء، ذلك بأن الوعي الاقتصادي لم ينم في شعور العالم الإسلامي النمو الذي نماه في الغرب في شعور الإنسان المتحضر وحياته⁽¹⁾، ووصف مالك بن نبي واقع الاقتصاد في الغرب، وقال أنه قد صار منذ قرون خلت ركيزة أساسية للحياة الاجتماعية وقانوناً جوهرياً لتنظيمها ومبدأ تصرف الفرد ومثلاً أعلى للأسرة.

ويشير المفكر في السياق نفسه إلى أن الحضارة الإسلامية في الشرق، قد ظلت على العكس من ذلك في مرحلة الاقتصاد الطبيعي

(1) - المرجع نفسه، ص35.

غير المنظم، حتى أن النظرية الوحيدة التي تناولت تأثير العوامل الاقتصادية في التاريخ وهي نظرية بن خلدون قد ظلت حروفا ميتة في الثقافة الإسلامية، حتى نهاية القرن الأخير⁽¹⁾.

ويرجع عدم إقبال العالم الإسلامي على وضع نظرية اقتصادية كما حدث في المجتمع الغربي، حين وضع الرأسمالية والاشتراكية، رغم احتياجاته الداخلية لذلك إلى ما انطوى عليه من نفسية خاصة منعقدة على (الزهد) كمثل أعلى منذ قرون، واعتبر المفكر أن الفقيه الاقتصادي الذي يستلهم خطته ومفاهيمه من مثل كهذا وما يصدر عنه لا يمكنه بداهة أن يعبر بالدقة العلمية نفسها عن فكرة المنفعة الخاصة بالرأسمالية، أو عن فكرة الحاجة الخاصة بالنظرية الماركسية، فالزهد والمنفعة والحاجة ثلاث حقائق لا يمكن أن تدخل في إطار اجتماعي واحد، وفي واقع اقتصادي واحد، فقد كان هناك إذن عنصر تنافر أساسي بين الأوضاع الشخصية الموروثة في البلاد الإسلامية وبين

(1) - المرجع نفسه ، ص 16.

التكوينات الاقتصادية التي وضع أسسها العصر الاستعماري⁽¹⁾.

ومن جهة أخرى وفي مجال استخلاص الدروس من المقارنة بين الوضع في العالم الإسلامي وفي العالم الغربي، أشار بن نبي إلى عنصر آخر يتمتع بالطابع النفسي نفسه، وقال يجب أن نحسب له حساب في هذا التنافي، ذلك العنصر هو فكرة الزمن التي عدها المفكر أساسية جدا في تنظيم العمل في العالم الحديث تبعا لنظرية تايلور TAYLOR، فقد سيطرت هذه النظرية على مفاهيم المقدرة الإنتاجية، فساعة (الكرونومتر) التي تستخدم في حساب الثواني تستخدم في الوقت نفسه في تسعير الإنتاج، وليس قولهم (الوقت عملة TIME IS MONY) من قبيل اللعب بالكلمات، بل هو تعبير دقيق عن الواقع المادي في نظر الإنجليز، أما في البلدان المتخلفة فإنهم لم يجربوا هذه العملة الخاصة إذ تنمو ألوان النشاط والعمل بصورة تقليدية، في حدود الزمن الميتافيزيقي أي في نطاق الأبدية، لأنه لا يهدف إلى تشييد صرح

(1) - مالك بن نبي، المسلم في عالم الاقتصاد. مرجع سابق، ص 16.

القوة، ولا ينطبق مع مبادئها المتنافية مع الأوضاع النفسية⁽¹⁾.

وعلى هذا فالعالم الإسلامي ليس بيده أن يغير أوضاعه الاقتصادية، ما دام بعض ساسته يحاولون تطبيق حلول فنية يقترحها بعض الاختصاصيين الأوروبيين، على الرغم من أن هذه الحلول قد تكون عديمة الجدوى في البلاد الإسلامية، لأنها لا تتفق مع عناصر (ا لآنا) فيها، فالحلول الفنية ينبغي إذن أن تتكيف مع نفسية البلد الذي تطبق فيه ومع مرحلة تطوره، كما أن (الآنا) ينبغي أن تتكيف طبقا للحلول الفنية التي يحاول تطبيقها⁽²⁾.

وطالما لم تقم البلدان المعنية بهذه الخطوة من أجل تحريرها النفسي، الثقافي فإن تحريرها الاقتصادي يصعب أو يستحيل، وهكذا يصبح في بعضها الغني يموت جوعا لأنه لا يحسن التصرف بما آتاه الله من قدرة، بينما هذه القدرة عظيمة جدا في العالم الثالث شريطة

(1) - المرجع نفسه ، ص 17. وانظر: مالك بن نبي، الفكرة الإفريقية الآسيوية في ضوء مؤتمر باندونج ، ترجمة عبد الصبور شاهين، إعداد ندوة مالك بن نبي ، دار الفكر، بيروت، لبنان ، ط3، 2001 م ، ص 156 . 157 .

(2) - مالك بن نبي ، ميلاد مجتمع (شبكة العلاقات الاجتماعية) . ترجمة عبد الصبور شاهين ، إشراف ندوة مالك بن نبي ، دار الفكر، الجزائر، ط3 ، 1406 هـ ، 1986 م ، ص45.

أن يحولها من حيز القوة إلى حيز العمل ⁽¹⁾ ،
ورغم ذلك يبقى البناء وإعادة البناء في
وسع العالم الإسلامي إذا تمثل الآية الكريمة :
{ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا
بِأَنْفُسِهِمْ } ⁽²⁾ ، فلو تدبر أهل الاختصاص في
الاقتصاد من المسلمين هذه الآية، أدركوا
أنها تضع هذه القضية وغيرها مما يخص أوضاع
المجتمعات أولا في مستوى تغير مسوَّغات
الوجود في المجال النفسي، وفي كلمة واحدة
و بصورة أوضح في المستوى الحضاري.

ولو تدبروا أيضا بعض الدراسات المتعمقة
في البحث عن جذور الاقتصاد، لوصلوا إلى
النتيجة النظرية نفسها، أي أن الاقتصاد ليس
قضية إنشاء بنك وتشديد مصانع فحسب، بل هو
قبل ذلك تشييد الإنسان وإنشاء سلوكه الجديد
أمام كل المشكلات ⁽³⁾ .

ولهذا الغرض كذلك يقترح مالك بن نبي
العمل المشترك بين أفراد المجتمع وبين
المجتمعات الإسلامية فيما بينها لأن هذا
العمل المشترك من شأنه أن يغير الأوضاع

(1) - مالك بن نبي ، بين الرشاد والتهيه. مرجع سابق ص ص 192 . 193 .

(2) - الرعد، الآية 11.

(3) - مالك بن نبي ، المسلم في عالم الاقتصاد. مرجع سابق ، ص 59 .

النفسية للفرد، وملامح الحياة حوله وبهذا يكون العمل المشترك أولاً وقبل كل شيء، كما يعتبره مالك بن نبي المدرسة التي تكون المسلم الجديد، الذي يستطيع مواجهة كل الظروف الاستثنائية، مثل التخلف؛ لأن مدرسة العمل المشترك تعلمه أن الإرادة إذا حركت الإنسان تجعله يكتشف الإمكان، فالوطن أو المجتمع المسلم الذي يتحول إلى ورشة، سرعان ما يكتشف أن الإمكان الذي ينتظره مما في يد الآخرين لتغيير مصيره هو في يده الآن، إن هذه الإرادة تكتشف الإمكان، هذا القانون في المجال الاقتصادي هو في المجال النفسي كما تشير إليه الآية الكريمة { إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ } ⁽¹⁾ وما نعبّر عنه في المجال الاجتماعي بقولنا : إن الإرادة الحضارية تصنع الإمكان الحضاري ⁽²⁾.

فمن خلال ما سبق نفهم أن بناء اقتصاد وفرة أو بقاء أوقوة لا يعتمد بالدرجة الأولى على الإمكانيات المالية مهما كانت قيمتها،

(1) - الرعد الآية 11.

(2) - مالك بن نبي، المسلم في عالم الاقتصاد. مرجع سابق، ص ص 82-83.

بل على عامل نفسي أو روعي ينهض بذلك الاقتصاد على أنه إرادة حضارية⁽¹⁾.

وأخيرا فمن أجل تفعيل الحركة الاقتصادية، وإعطاء العنصر النفسي والروحي الدور الذي تتطلبه عملية إعادة التنمية الاقتصادية للأمة، لأجل ذلك يستدعي الاقتراب المنهجي من فك رموز المعضلة الاقتصادية بإعادة الاعتبار للعناصر النفسية للإنسان المسلم شعبا وقيادة عن طريق إعادة الثقة بالنفس وإعادة صياغة التكوين الشخصي للفرد، بدءا من العادات ونسق النشاط والمواقف اتجاه المشكلات الاقتصادية.

وفي هذا المستوى يجب كذلك تجاوز الاختلال الحاصل في معادلة التوازن الروحي والمادي، وضرورة استغلال العناصر الروحية في تكوين الإنسان المسلم لتحقيق الفعالية المطلوبة، فلا شك أن طاقة روحية هائلة تكمن داخل الفرد المسلم إلا أن خمول هذه الطاقة من جهة واتجاهات تحركها المعروفة تاريخيا من جهة أخرى، هو الذي حال دون استمرار البناء الاقتصادي للأمة، والأمر يستدعي برنامجا جادا لتكييف هذه الطاقة بما يخدم مشروعها

(1) - سلوى حديدى ، مفهوم التبعية عند مالك بن نبي. مرجع سابق ، ص 69 .

الاقتصادي، وقبل البرامج يستدعي الأمر إيجاد نوعية خاصة من المصلحين القدوة مهمتهم عرض نموذج الإنسان المتوازن روحياً⁽¹⁾.

(1) - بشير مصطفى ، المسألة الاقتصادية في فكر مالك بن نبي . مرجع سابق ، ص ص 362-363.

المبحث الثاني

عناصر الحركة الاقتصادية على المستويين الاجتماعي والتربوي

تتمة للفكرة المحورية التي تشغل حيزا كبيرا من أعمال مالك بن نبي، وهي كيفية إعادة بناء التنمية الاقتصادية للأمة على ضوء مكونات الحضارة الإسلامية، نحاول في هذا المبحث التعرف على عنصرين آخرين لهما دور كبير في تفعيل الحركة الاقتصادية، وهذا ما اقتضى تقسيم المبحث إلى مطلبين نتطرق في الأول إلى عناصر الحركة الاقتصادية على المستوى الاجتماعي وفي المطلب الثاني على المستوى التربوي.

المطلب الأول

عناصر الحركة الاقتصادية على المستوى الاجتماعي

يرى مالك بن نبي أن المشكلة التي تطرح حاليا أمام بلدان العالم الإسلامي ليست مشكلة اقتصادية بالمفهوم الضيق للكلمة ولكنها مشكلة متشعبة، للبعد الاجتماعي نصيب فيها، أو بعبارة أخرى " فالديناميكية الاقتصادية ليست في هذه النظرية أو تلك

الخاصة بعلم الاقتصاد، بل هي مرتبطة بجوهر اجتماعي عام⁽¹⁾.

فالمجتمع في منطلقه يتمتع دائما بسلطان اجتماعي، يمثله الإنسان والأرض والزمان الذي يملكهم في الحالات جميعا، لكنه لا يملك سلطانا ماليا دائما فينبغي لخطط تنميته والحال هذه أن تعتمد اعتمادا أكثر على السلطان الاجتماعي، حتى لا تعبر عن وسواس نقص المال الذي يهلكها من البداية بإخضاعها إلى إرادة المال⁽²⁾.

وفي هذا الإطار استشهد المفكر بكثير من المبادرات التي حفل بها العالم الحديث يتخذها أدلة للتوضيح والمناقشة، فما أكثر ما تحدث عن التجربة الاندونيسية، وما أكثر ما استنتج منها من دروس فهو يرى تجربة مثل التي أجريت في إندونيسيا قد تضمنت كل شروط النجاح، سواء من ناحية الإمكانيات المادية في أغنى بلاد الله من حيث الثروة الطبيعية والبشرية، أو من الناحية الفنية لأن واضع خطتها الدكتور "شاخت"، الرجل الذي نهض باقتصاد ألمانية قبيل الحرب العالمية

(1) - مالك بن نبي، المسلم في عالم الاقتصاد. مرجع سابق، ص 9.

(2) - المرجع نفسه، ص 39-40

الثانية من نقطة الصفر تقريبا، ومع ذلك نراها فشلت فشلا ذريعا⁽¹⁾.

فالمفكر اعتبر هذا الفشل درسا اقتصاديا لأن الدكتور شاخت، كما يقول مالك بن نبي كان بلا جدال، أجدر من يضع مخططا اقتصاديا مثل الذي وضعه لبلاده قبيل الحرب، ولكنه خطط لإندونيسيا فوضع ضمنا خطته على قاعدة (معادل اجتماعية) خاصة بالشعب الألماني، وأجنبية عن الشعب الإندونيسي، فما كان إذن لمخططة أن ينجح لأنه فقد من لحظته الأولى شرطا أساسيا⁽²⁾.

فحين يتحدث مالك بن نبي عن المبادرات الفاشلة ويبين سبب فشلها، لا ينسى أن يذكرنا بمبادرات أخرى استقامت على سنة التاريخ، فأعطت وأثمرت، وكانت الصين نموذجا لتجربة ناجحة تحدث عنها قائلا: إن الصين تقدمت اقتصاديا بسرعة مرموقة لأنها طبقت منذ اللحظة الأولى في خطط تنميتها مبدأ الاتكال على الذات، أي بالتعبير الاقتصادي مبدأ الاستثمار الاجتماعي من

(1) - مالك بن نبي، المسلم في عالم الاقتصاد. مرجع سابق، ص8.

(2) - المرجع نفسه، ص9.

الإنسان الصيني، والتراب الصيني، والزمن المتوفر في كل أرض.⁽¹⁾

حين تحدث مالك بن نبي عن إندونيسيا حيننا وعن الصين حيننا آخر، على الرغم من أن الأولى تجربة فاشلة، والثانية تجربة ناجحة، فمن أجل الاستفادة من الأولى والاقتداء بالثانية، فهذه التجارب بمثابة دروس حيّة انتهى بها المطاف بين أيدي بن نبي الذي كشف من خلالها عن القدرة الحقيقية للمجتمع الإسلامي والتي لا توجد على محور القدرة المالية ولكن على محور القدرة الاجتماعية⁽²⁾.

وكما ذكر فهناك نوعان من الاستثمار:⁽³⁾

1- الاستثمار الكلاسيكي بالوسائل المالية.

2- الاستثمار الاجتماعي لسائر الطاقات البشرية، سائر موارد التراب وما تحت التراب أو الركاز كما يقول الفقهاء واختيار الطريقة الكلاسيكية للاستثمار

(1) - المرجع نفسه ، ص 76.

(2) - مالك بن نبي ، بين الرشاد والتهيه. مرجع سابق ، ص 192.

(3) - المرجع نفسه ، ص ص 39-40.

يقودنا حتماً إلى مأزق اقتصادي أولاً، ثم إنه سيضع خطة تنميتها تحت رحمة رأسمال أجنبي بالضرورة، قد يتوفر لنا أولاً، ثم إنه يفرض علينا قيوداً لا نقدر مسبقاً ثقلها على الصعيد السياسي⁽¹⁾.

أما إذا انتهجنا الطريق الآخر للاستثمار الذي يقتضي تلبية الحاجة طبقاً لإرادة حضارية تفرض شبكة توزيع شاملة تشمل السكان كلهم منه اللحظة الأولى، نستطيع مبدئياً رسم شروط الديناميكا الاقتصادية في صورة مسلمتين:

1- لقمة العيش حق لكل فم .

2- العمل واجب على كل ساعد .

فالمسلمة الأولى يفرضها الاختيار لمبدأ معين يلتزمه المجتمع ويسجله في دستوره بوصفه أساساً لعقده الاجتماعي⁽²⁾. كما لا يجب أن نقرر هذه المسلمة لمجرد غاية أخلاقية، بل بوصفها نقطة انطلاق فنية وأخلاقية معاً، يقرها ضمناً الإسلام في مبدأ الزكاة وتفرضها اعتبارات اقتصادية استثنائية ترمي إلى خلق

(1) - المرجع نفسه، ص 185.

(2) - مالك بن نبي، المسلم في عالم الاقتصاد. مرجع سابق، ص 80.

جو اجتماعي تنمو وتتحرك فيه كل الطاقات،
في عمل مشترك من شأنه أن يغير الأوضاع
النفسية للفرد وملامح الحياة حوله⁽¹⁾.

أما المسلمة الثانية، فليست اختياراً بل
هي ضرورة تفرضها المسلمة الأولى شرط
استمرار التفاعل بين الإنتاج والاستهلاك،
تفاعلاً جدياً نستطيع صياغته في صورة منطقية
إذا قلنا: إنه لا إنتاج من دون استهلاك ولا
استهلاك من دون إنتاج⁽²⁾.

وبهذا يتبين أنه لا يمكن تحقيق اقتصاد
تنمية بطريقة مستقلة عن اقتصاد متين
لتحقيق اقتصاد القوت⁽³⁾.

ولا ينس مالك بن نبي في هذا المستوى
التذكير بمخلفات الاستعمار البالغة الأثر
على الحياة الاجتماعية للمستعمر، فمنطق
الاستعمار "يسلب الأشياء معناها حتى تصير
بعيدة عن الفهم"⁽⁴⁾.

(1) - المرجع نفسه، ص 82.

(2) - المرجع نفسه، ص 80.

(3) - مالك بن نبي، بين الرشاد والتهيه. مرجع سابق، ص 186.

(4) - مالك بن نبي، في مهبط المعركة. إشراف ندوة مالك بن نبي، دار الفكر، دمشق، د ط، 1986،

وهذا التوجه ليس من محض الصدف بل سياسة استعمارية مدروسة فنمى من خلالها في نفسية المستعمر خوف الجوع الذي يظهر في جميع طبقات المجتمع المستعمر، خلق منه الرجل الجائع دائماً، وخلق منه الرجل الذي يخاف دائماً من الجوع، وهاتان الصورتان من صور الخوف قد حطمتا عند الكائن المستعمر كل إمكانياته للتكيف مع التكوينات والأوضاع الاقتصادية في القرن العشرين⁽¹⁾.

مما أثر سلباً على مستقبل أي عملية إعمار أو تنمية مبنية على اقتصاد القوت ، وعلى المستوى الاجتماعي أيضاً تقتضي الحركة إشراك كافة فئات المجتمع في ممارسة الخطة صياغة وإعلاماً وتنفيذاً، أو ما عبر عنه الأستاذ مالك بن نبي بـ: "النشر الاجتماعي للخطة" مما يسهل عملية تكيف السلوك لمتطلبات هذه الخطة، إن هذا التكيف يعني باختصار إعادة الوظيفة الاستهلاكية، وكذا الوظيفة الاستثمارية للمجتمع المسلم إلى مجراها الطبيعي التوازني أين يتحدد السلوك

(1) - مالك بن نبي، المسلم في عالم الاقتصاد. مرجع سابق، ص20.

الإنفاقي بسلم الأولويات – الضرورة ثم
الحاجة ثم التحسين – ⁽¹⁾.

المطلب الثاني

عناصر الحركة الاقتصادية على المستوى التربوي

على هذا المستوى ينبغي علينا أن نحدد
مجال دراستنا انطلاقاً من فكر مالك بن نبي
الأخلاقي، والذي ينطلق من فكرة واحدة مفادها
أن الأخلاق هي محور النمو الاجتماعي والثقافي
والاقتصادي، وقد جعله هذا الإيمان بدور
القيم الأخلاقية في مجال الاقتصاد يقول: "
فإن أي نظام اقتصادي إنما توجهه القوى
الأخلاقية التي تخلع عليه تفسيراً إنسانياً
وغاية تاريخية، فهو في بدايته يحمل طابع
اختيار بين المنفعة والحاجة وفكرة التوزيع
فيه، أعني أن وظيفته الاجتماعية الجوهرية
تكتسب تحديدها من هذا الاختيار الأول" ⁽²⁾.

وقبل كل شيء فالمبدأ الأخلاقي يعطي قوة
التماسك وربط العلاقات بين الأفراد في مجتمع
واحد كما أنه يهذب ويوظف غريزة تجمع

(1) – بشير مصيطفى، المسألة الاقتصادية في فكر مالك بن نبي. مرجع سابق، ص363.

(2) – مالك بن نبي، المسلم في عالم الاقتصاد. مرجع سابق، ص23.

القبائل البدائية⁽¹⁾. إذ لا يمكن تصور حركية اقتصادية بغير خطة تربوية مدروسة وبغير إطار ثقافي واضح يعيد للإنسان قيمته ودوره الطبيعي في الحياة ويزوده بالأفكار الحية⁽²⁾.

وهذه الاعتبارات لوظيفة الأخلاق ليست بنت الأمس، فقضية تكريم الإنسان لم تهمل ولم تنس في الثورة الإسلامية منذ قرون {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ} ⁽³⁾، هكذا وضع القرآن الكريم لكرامة الإنسان قاعدة سامية بالنسبة لدنياه ولآخرته⁽⁴⁾، يجب على النهضة الاقتصادية أن تتضمن هذه القاعدة التي تجعل من الإنسان القيمة الاقتصادية الأولى بوصفه وسيلة تحقق بها خطة التنمية، ونقطة تلاق تلتقي عندها كل الخطوط الرئيسية في البرامج المعروضة للإنجاز⁽⁵⁾، ومهما يكن فإننا نرى كما يقول مالك بن نبي كيف يرتبط عالم الاقتصاد بالقيم الحضارية ارتباطا لا يمكن معه أن

(1) - بشير قلاتي، البعث الحضاري عند مالك بن نبي ووحيد الدين خان. رسالة ماجستير، غير منشورة إشراف فضيل دليو، معهد أصول الدين، قسم الدعوة والإعلام، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، الجزائر، ص 179.

(2) - بشير مصيطفي، المسألة الاقتصادية في فكر مالك بن نبي. مرجع سابق، ص 364.

(3) - الإسراء، الآية 70.

(4) - مالك بن نبي، بين الرشاد والتيه. مرجع سابق، ص 26.

(5) - مالك بن نبي، المسلم في علم الاقتصاد. مرجع سابق، ص 77.

تتصور نجاح خطة اقتصادية، تقتنع بأرقام وإحصائيات وأدوات مادية، إن لم يكن إنجازها آخذاً في الاعتبار قيمة الإنسان ذاته في رتبة القيمة الاقتصادية الأولى، على شرط أن تكون إرادته شرارة مقتبسة من إرادة حضارية⁽¹⁾، هذا الدرس يمكن لنا أن نستخلصه من تجربة الصين، فالمعارك الاقتصادية عندما تدور رحاها، فهي تدور حول قطب القيم الأخلاقية وإن وسعنا المصطلح قلنا: حول القيم الثقافية⁽²⁾، ويجدر هنا ذكر ملاحظة مالك بن نبي فيما يخص برامج الاستثمار في البلاد الإسلامية التي لازالت بعيدة على وضع الإنسان في هذه الرتبة، بوصفه وسيلة تغير في ذاتها في فعاليتها بقدر ما تحدث من تغيرات في نطاق النمو الاقتصادي، ويؤكد المفكر هذه الملاحظة بلفت النظر إلى المشروعات التي تنشأ فكرتها تحت شعار الاشتراكية أحياناً، بينما نراها تدخل حيز الإنجاز على أساس الاستثمار المالي، كأنما أفكارنا لا تستطيع بعد التفاعل مع الواقع رغم أن المجتمع الإسلامي أجدر من يحقق له ولإنسانية التجربة التي تعيد إلى علم

(1) - المرجع نفسه ، ص 64.

(2) - مرجع نفسه ، ص 83.

الاقتصاد أخلاقياته، ويتلافى بذلك الانحرافات الإباحية التي تورطت فيها الرأسمالية، كما ينجو من ورطة الماركسية التي سلبت الإنسان ما يميزه عن الآلات والأشياء.

وكما أشار مالك بن نبي، فالإنسان لا يجوز له أن يخالف في سلوكه التكريم الذي وضعه له القرآن الكريم في قوله تعالى { وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ }⁽¹⁾ التكريم الذي لا يضمن له حقوقا فقط، بل يفرض عليه واجبات أيضا⁽²⁾، وإذا كان من قبيل تحصيل الحاصل القول بأن الاستهلاك متوقف على الإنتاج فإنه لمن البديهي أيضا بأن أداء الواجب هو الذي يضمن لصاحبه الحقوق كلها، خصوصا بالنسبة للبلدان السائرة في طريق النمو⁽³⁾، وهكذا يمكن القول أن للقيم الأخلاقية دور في تربية المسلم على الإنتاج، قال صلى الله عليه وسلم "أطيب ما أكل الرجل من كسبه"، و لتربيته على الاستهلاك، قال تعالى: { وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا }⁽⁴⁾، وقد أكد مالك بن نبي على

(1) - الإسراء، الآية 70.

(2) - مالك بن نبي، بين الرشاد والتهيه. مرجع سابق، 26.

(3) - عبد اللطيف عبادة، صفحات مشرقة من فكر مالك بن نبي. مرجع سابق، ص111.

(4) - الفرقان، الآية 67.

أن العلاقة بين الحق والواجب تسيطر على جميع نواحي التطور الاجتماعي، وهي صالحة لأن تصور لنا ثلاث أساليب مختلفة للتطور، وأن توضح لنا الفروق الجوهرية الجبرية بين ثلاث نماذج للمجتمعات، ويمكننا أن نضع هذه العلاقة في صورة جبرية هي: واجب + حق = صفر.

وتحت هذه الصورة توضح العلاقة أن اختيار مجتمع إذا كان الاختيار موجبا يعني بالنسبة إليه نموا صاعدا، يعني (نهضة) حين يكون الاختيار في الصورة الجبرية إيجابيا، وهذا الاختيار يتفق في التخطيط الاقتصادي مثلا مع زيادة قوى الإنتاج بالنسبة إلى حاجات الاستهلاك، وتدل هذه الزيادة على إمكانيات الاستثمار لدى المجتمع، ذلك الذي حدد اختياره على تلك الصورة، وإذا كان الاختيار سلبيا، فإنه يدل على أن نموذج المجتمع نموذج هابط له ولا شك نهايته، وبين هذين الاختيارين يوجد نموذج ساكن يقف بين النهضة والتقهقر بصورة اختيارية تتمثل فيه (نعم و لا) وتساوي صفرا في الصورة الجبرية⁽¹⁾

(1) - مالك بن نبي، فكرة الأفريقية الآسيوية في ضوء مؤتمر باندونج. مرجع سابق، ص 113.

وفي ضوء هذه الاعتبارات ندرك دور القيم الأخلاقية في نمو المجتمع حتى من ناحية العمليات الاقتصادية، لأنه إذا كانت طبيعة المشكلات هي التي تحدد الاختيار لدى القادة والزعماء، فإنه يتم في نطاق التاريخ بإرادة الشعوب وتبعاً لهواها، وأوضاعها الأخلاقية⁽¹⁾، ولنتأمل هذا المستوى من خلال الدرس الذي ذكره مالك بن نبي في إحدى قضايا العمل الإنتاجي حيث قال إن العامل قد يتغيب من دون عذر عن عمله فما هي عقوبته؟.

إنه لا يجازى بحسم من تموينه أو من أجرته، ولكن يفرض عليه عدد من أيام أخرى، فالجزاء يقوم هنا على قاعدة أن اللولب النفسي ذو فعالية أكبر من اللولب الاقتصادي في حياة الفرد، ولكن هل هذه القاعدة تصح من دون قيد ولا شرط؟ إننا لا نتصور أثراً إلا في مناخ أخلاق حقيقي، تُكونه الثورة وتحافظ عليه بوصفه صيداً أساسياً لها، كذلك المناخ الذي نشعر به في قصة المخلفين في القرآن الكريم⁽²⁾.

(1) - المرجع نفسه، ص 114.

(2) - مالك بن نبي، بين الرشاد والتيه. مرجع سابق، ص 24.

وغير بعيد عن موضوع القيم الأخلاقية وتأثيرها على النشاط الاقتصادي، فقد ذكر بن نبي أنه حتى في العلاقات الاقتصادية بين الدول المصنعة والدول النامية، فالعلم إذا تجرد من الأخلاق فإنه يجر حتما إلى وضع اقتصادي مناقض للأخلاق، سواء كان ذلك في الإطار الوطني أو الإطار الدولي⁽¹⁾. وعلى هذا المستوى تكلم بن نبي عن الاقتصادانيه أو المعاشية التي لم ينزل بها القرآن من السماء، بل أفرزتها كائنات أميبية جسدت القابلية للاستعمار وتجسد الخلق اليوم وهي عموما تعني بادئ ذي بدء استبدادا، أي تقييدا جديدا لحرية التصرف، فيه يلتهم المشرع الاقتصادي القيم الأخلاقية والمدنية كلها لأبناء الشعوب المستعمرة حتى يعزّزوا كما يزعمون الاستقلال السياسي الذي اكتسبته الشعوب⁽²⁾.

(1) - مالك بن نبي ، بين الرشاد والنتية. مرجع سابق ،ص 77.

(2) - مالك بن نبي ، المسلم في عالم الاقتصاد. مرجع سابق، ص 37.

المبحث الثالث :

عناصر الحركة الاقتصادية على المستويين السياسي والفكري

بعد أن اطلعنا على أفكار مالك بن نبي فيما يتعلق بكيفية إعادة بناء التنمية الاقتصادية للعالم الإسلامي على ضوء مكونات الحضارة الإسلامية، وتطرقنا للمستويين العقائدي والروحي، والمستويين الاجتماعي والتربوي، وبيننا تأثير هذه المستويات على الحركة الاقتصادية من وجهة نظر مالك بن نبي، نحاول في هذا المبحث أن نكمل باقي عناصر الحركة الاقتصادية على المستوى الحضاري ضمن المطلبين التاليين:

المطلب الأول

عناصر الحركة الاقتصادية على المستوى السياسي

يعرف مالك بن نبي السياسة على أنها توجيه الطاقات الاجتماعية لتحقيق بناء المجتمع في الداخل، وتحقيق مكانه في الخارج، وعلى أننا حينما نحلل الطاقات الاجتماعية بصفة عامة، نرى أنها تتضمن أولاً وقبل كل شيء الفرد كأداة وهدف، فالطاقات

الاجتماعية تنبع من الفرد وتعود إليه ⁽¹⁾، ولهذا فالسياسة في جوهرها ما هي إلا مشروع لتنظيم التغيرات المتتالية في ظروف الإنسان وأوضاع حياته، هذه العلاقة التي تحدد وضع الفرد باعتباره غاية كل سياسة، تعد الفرد أيضا عاملا لتحقيق تلك الغاية ⁽²⁾، أما عن علاقة السياسة بالاقتصاد، فقد تحدث مالك بن نبي عن التأثير المتبادل بينهما، لأن الاقتصاد كما يقول: ليس سوى إسقاط للبعد السياسي على نشاط إنساني معين، فبقدر ما تبقى السياسة مرتبطة بمبادئ أخلاقية معينة يبقى الاقتصاد وفيها للمبادئ ذاتها ⁽³⁾، لذا يجب أن تسير النظرية الاقتصادية جنبا إلى جنب مع النظرية السياسية كما تحيل المبدأ النظري إلى قانون للعمل والنشاط فتضمه بذلك إلى دوافعه و إلى نسقه وأسلوبه ⁽⁴⁾.

وعلى هذا المستوى كذلك نجد أن بعض الحكومات في البلاد الإسلامية أساءت فهم الحرية السياسية في المجال الاقتصادي،

(1) - مالك بن نبي، تأملات. مرجع سابق، ص 21، 22.

(2) - مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي. مرجع سابق، ص 96.

(3) - مالك بن نبي، بين الرشاد و التيه. مرجع سابق، ص 75.

(4) - مالك بن نبي، المسلم في عالم الاقتصاد. مرجع سابق، ص 19.

عندما تبنت المنهج المركزي الذي يقايز الحرية السياسية بتأمين الحاجة، ويبادل حرية الرأي والموقف بضمان لقمة العيش⁽¹⁾.

هذا ما أشار إليه بن نبي بقوله: قد يحدث لبعض البلدان من العالم الثالث أن تعلن على الصعيد السياسي موقفها الاشتراكي، ولكن دون رؤية واضحة لمستلزمات هذا الموقف على الصعيد الاقتصادي، فنراهم ينهجون في مخططاتهم منهج من يعتمد على قوة الشراء المفقودة بين أيديهم، فتصبح مخططاتهم خاضعة لتبعات مالية تعطل إنجازها، وطالما لم تتوضح فكرة الاستثمار في تلك البلدان وتبقى فيها خاضعة لسلطان المال، فإنها مهما كان مبدؤها السياسي ستتكشف قدرتها الاقتصادية الحقيقية⁽²⁾.

لقد أساءت حكومات أخرى فهم هذه الحرية عندما طبقت منهج التنمية الرأسمالية، الذي يقيد حرية الفرد في المعتقد وأسلوب الحياة بما يمليه عليه من أدوات وآليات واختيارات لا يملك الإنسان دونها إلا أن يكون سلعة في

(1) - بشير مصيطفي، المسألة الاقتصادية في فكر مالك بن نبي. مرجع سابق، ص 364 .

(2) - مالك بن نبي، بين الرشاد والتيه. مرجع سابق، ص 192.

النظام الرأسمالي⁽¹⁾، وعلى هذا يجب أن تكون الحكومات في البلاد الإسلامية راعية للحرية ضامنة لها كحد أدنى لتحقيق المناخ السياسي المؤيد للإقلاع، ولا يمكننا أن نتصور في إطار تجربة اقتصادية ناجحة مساومة بين العامل السياسي والعامل المعيشي، وقد عبر مالك بن نبي عن الانسجام بين الحرية السياسية والحق في العيش الكريم بحرية الرأي والتأمين الاجتماعي إذ هما جزءان لا ينفصلان من مكونات الحق، الحق في الحرية السياسية المقيدة بمقاصد الشريعة الإسلامية، والحق في التأمين الاجتماعي الذي يقوم على حد أدنى هو الحق في الغذاء أي القوت.⁽²⁾

المطلب الثاني

عناصر الحركة الاقتصادية على المستوى الفكري

الواقع أن المجتمع الذي لا يخلق أفكاره الخاصة الموجهة لا يمكنه أن يصنع إنتاجه الموجه للاستهلاك ولا أدواته الخاصة بالتجهيز، وليس نقص الإمكانيات هو الذي يفرض توجه مجتمع ما إلى الخطر، ولكن

(1) - بشير مصيطفي، المسألة الاقتصادية في فكر مالك بن نبي. مرجع سابق، ص 364.

(2) - المرجع نفسه، ص 365.

القصور في خلق أفكاره الخاصة به ⁽¹⁾ ، وفي هذا السياق يعتبر مالك بن نبي أن لكل نشاط عملي علاقة بالفكر، فمتى انعدمت هذه العلاقة عانى النشاط وأضطرب، وأصبح جهدا بلا دافع، وكذلك الأمر حين يصاب الفكر أو ينعدم، فإن النشاط يصبح مختلا مستحيلا، وعندئذ يكون تقديرنا للأشياء تقديرا ذاتيا، هو في عرف الحقيقة خيانة لطبيعتها، وغمط لأهميتها، سواء كان غلوا في تقويمها أم خطأ من قيمتها. ⁽²⁾

إذن فعلى كل بلد يريد الانطلاق في التنمية أن يجعل الرأسمال الفكري جوهري بالنسبة له، بقدر أكثر مما هو جوهري رأسماله بالدينار، أو رأسماله بالدولار، أو حتى رأسماله البترولي والأمر بالنسبة لهذا الرأسمال الأخير واضح : فـ (50%) من ريعه تبقى في الخارج، بناء على تقديرات دقيقة ⁽³⁾ ، وإن كان لكل جيل مراكز تفكير معينة، تحددها ضرورة الحياة، وروح العصر أي الفلسفة العامة التي تسيطر على الأفكار

(1) - نور الدين بو كروج ، مالك بن نبي مفكر كبير وغير معروف. مرجع سابق ، ص 57.

(2) - مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي. مرجع سابق ، ص 88.

(3) - مالك بن نبي، من أجل التغيير. دار الفكر ، دمشق ، سوريا ، دط ، 1432 - 2002 ، ص39.

لا في مستوى النخبات المثقفة فحسب بل في مستوى الجماهير، فالجيل الذي عاش فيه مالك بن نبي في القرن التاسع عشر اكتشف مع آدم سميث ومع كارل ماركس، قيمة الواقع الاقتصادي في تحديد الظاهرة الاجتماعية فأصبح الاقتصاد أحد مراكز التفكير، المركز الذي تلتقي فيه الأفكار بحدة، إمّا لأنها أفكار عملية تبحث عن سبل جديدة لتسيير الحياة المادية، أو أنها أفكار نظرية تحاول فهم الظاهرة الاجتماعية في ضوء الاقتصاد، أو أحيانا هذا وذلك، ولقد نما هذا الروح في القرن العشرين، فتأكدت فيه مراكز التفكير الاقتصادي كما كان القرن السابق (ق 19 م) يخضع لقانون التوسع الاستعماري، وحتى أصبح الاقتصاد ميزة ومقياسا تقاس به الأشياء، في داخل بلد معين فنقول عنه إنه في حالة نمو إذا كان اقتصاده ناميا أو بالقياس مع بلد آخر فنقول عن أحدهما أنه متخلف إذا كان اقتصاده كاسدا⁽¹⁾.

(1) - مالك بن نبي، تأملات . مرجع سابق ، ص 47.

ولما كانت ظاهرة التخلف محل دراسات مالك بن نبي، حاول الإمعان في حقيقتها متجاوزا الظواهر الطافية على السطوح، لذا فهو يرى أن تحمل مصطلح البلدان المتخلفة هذا المفهوم للتخلف، تخلف هذه البلدان عن التجسيد الفعلي العقلاني لمثلها العليا، وتخلفها عن الانسجام مع ثقافتها، وليس تخلف عن اللحاق بالدول الغربية، لأن هذا السباق غير عقلاني فالمجتمعات هي في جوهرها أفكار، وبها تتميز عن بعضها، ولا يعقل أن يكون هناك سباق بين الأفكار فالفكرة لن تلحق بأخرى إلا إن هي لم تعد فكرة، فالأفكار تتصارع أو تتعايش ولا تتسابق⁽¹⁾.

كما اعتبر مالك بن نبي أن المجتمع المتخلف ليس موسوما حتما بنقص في الوسائل المادية (الأشياء) وإنما بافتقاره للأفكار، يتجلى بصفة خاصة في طريقة استخدامه للوسائل المتوفرة لديه، بقدر متفاوت من الفعالية، وفي عجزه عن إيجاد غيرها، وعلى الأخص في أسلوبه في طرح مشاكله أو عدم طرحها على الإطلاق، عندما يتخلى عن أي رغبة

(1) - سلوى حديد، مفهوم التبعية عند مالك بن نبي. مرجع سابق، ص 115

ولو مترددة بالتصدي لها، ووفقا لتعبير الاقتصاديين الدارسين لمشاكل العالم الثالث : فالأرض هي الوسيلة الأصلح لتأمين (إقلاع) مجتمع ما يمر في مرحلته البدائية، ويتأهب للانتقال إلى مرحلة ثانية كالصين الشعبية منذ عام 1951م، لكننا نلاحظ أن أكثر الأراضي خصوبة في العالم – وتوجد في العراق و إندونيسيا – لم تُمكن هذين البلدين من (الإقلاع)، فهناك فاقة حقيقية في الأفكار تظهر في المجال السياسي والاقتصادي؛ على شكل موانع كابحة، تتوافق من وجهة نظر علم الاجتماع مع الخصائص النفسية الاجتماعية التي يتميز بها العالم الإسلامي في الوقت الحاضر⁽¹⁾.

وبالنسبة لعبارة العالم الإسلامي المتخلف عن اللحاق بالدول الغربية، يرى مالك بن نبي أنها تتضمن صراحة مبدأ الاستيراد، وإن كان في أصغر صوره (استيراد النماذج) وهذا في حد ذاته مغالطة وخطأ لا يغتفر في سياسات التنمية في العالم الإسلامي⁽²⁾، ولذا

(1) – مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي . ترجمة بسلم بركة، أحمد شعبو، دار الفكر، دمشق

سوريا، ص 36 .

(2) – سلوى حديدي، مفهوم التبعية عند مالك بن نبي. مرجع سابق، ص 115 .

يجب تدارك تخلفه عن الفكر القرآني، وعن ركب الفكر العلمي الحديث⁽¹⁾.

ويعتقد مالك بن نبي أنه يجب علينا، خصوصا في أعمال الاقتصاد أن تكون أفكارنا متصلة بواقعنا، فلا نقول بأفواهنا إن اثنين واثنين أربعة، ثم في التطبيق نتصرف كأنما تساوي ثلاثة، كما لا يكفي كذلك نشيد في عالم الاقتصاد بأفكار معينة، مثل الاستثمار الاجتماعي، إذ كانت مشروعاتنا تطبق ما يخالفها مثل استسلامها إلى سلطان المال⁽²⁾.

وعليه فإنه لا يجوز لأحد كما يقول مالك بن نبي أن يضع الحلول والمناهج مغفلا مكانة أمته ومركزها، بل يجب عليه أن تنسجم أفكاره وعواطفه وأقواله مع ما تقتضيه المرحلة التي فيها أمته، أما أن يستورد حلولاً من الشرق أو الغرب فإن في ذلك تضييعاً للوقت ومضاعفة للداء إذ كل تقليد في هذا الميدان جهل وانتحار⁽³⁾.

(1) - مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي. مرجع سابق، ص 115.

(2) - مالك بن نبي، المسلم في عالم الاقتصاد. مرجع سابق، ص 78.

(3) - مالك بن نبي، شروط النهضة. مرجع سابق، ص 53.

وعلى هذا المستوى كذلك يتناول مالك بن نبي مشكلة الانفصال بين الفكر والعمل، حيث يقول المسألة التي نتناولها هنا هو العجز عن التفكير وعن العمل، وهو في المجال النفسي يدل على انعدام الرباط المنطقي (الجدلي) بين الفكر ونتيجته المادية، فالفكرة والعمل الذي تقتضيه لا يمثلان كلا لا يتجزأ، والواقع أننا عندما نحلل إطراد أي نشاط له علاقة ما بالحياة العامة للنهضة نجده مبتورا من جانب أو آخر: فإما فكرة لا تتحقق، وإما عمل لا يتصل بجهد فكري، وليس في قائمة النشاط الاجتماعي ما يصح أن يعد ضئيل القيمة، فلكل حركة في ذلك الإطراد أثرها في تقدم المجتمع ⁽¹⁾، وهذا الانفصال بين الفكر والعمل، ليس هو السبب الوحيد كما يقول مالك بن نبي في جمود التفكير الإسلامي، فهو يعود أيضا إلى الاختلاط بين جوهر الظواهر وأشكالها، حدث هذا الاختلاط في بداية الحركة الفكرية في المجتمع الإسلامي الحديث، فلم يكن العلم الذي اقتبسته من

(1) - مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي. مرجع سابق، ص 83.

جامعات الغرب وسيلة للإسعاد بل كان طريقا للمظهريّة⁽¹⁾.

والطريقة الوحيدة التي يصبح بها المبدأ و الفكرة جزءا من التاريخ هي أن يتحول إلى عمل، إلى دافع عمل، إلى طاقة عملية، إلى إمكانية عمل ولقد تكوّن علم الاقتصاد الاشتراكي على يد (ماركس) و (انجلز) ولكن تأثيره بدأ مع تكوين الضمير الاشتراكي منذ ثورة تشرين الأول (أكتوبر) عام 1917م فلقد صب نشاط لينين ومدرسته مبدأ الاقتصاد الاشتراكي في نفسية الشعب الروسي وفي عقليته، وفي حركته أو ديناميكيته⁽²⁾.

وعلى هذا المستوى كذلك كان من بين أسباب الاخفاق التنموي الخلط الفكري في إعداد مشاريع تنموية، حيث أشار مالك بن نبي إلى قضية مهمة في هذا الإطار، تعتبر سببا للكثير من الاخفاقات التي سجلتها مشاريع وتجارب التنمية في العالم

(1) - المرجع نفسه ، ص 84.

(2) - مالك بن نبي ، المسلم في عالم الاقتصاد. مرجع سابق ، ص 19.

الثالث⁽¹⁾، فوضع آدم سميث مفهوم المنفعة والمصلحة الفردية وحرية التصرف، كمعيار أساسي في الاقتصاد، ووضع كارل ماركس مفهوم الحاجة ومفهوم التسيير السلطاني والصداق الطبقي كمعيار خاص، غير أن اللفت للانتباه هو أن هذه البلدان سلكتا مسلكا خاصا، كأنما هي لا تبحث عن أي (النظارتين) هي أصلح، بل لتضع لاقتصادها سائر (النظارات) الموجودة ، فالبعض منها وضعت مخططها طبقا لاختيار اشتراكي من حيث الأهداف، ثم حددت طبق التنفيذ طبقا لمنهج رأسمالي من حيث الوسائل⁽²⁾.

وتجربة تنموية هذه حالها أن تكون مزيجا مضطربا بين أفكار متناقضة، وأهداف ووسائل متعارضة، لا يمكنها أن تصل إلا إلى الفشل والإخفاق⁽³⁾، وهنا يؤكد مالك بن نبي على أن أي مخطط أو مشروع نفكر فيه بأفكار الآخرين، ونحاول إنجازَه بوسائل غيرهم معرض للفشل لا محال⁽⁴⁾.

(1) - الطاهر سعود ، التخلف و التنمية في فكر مالك بن نبي. مرجع سابق، ص 140.

(2) - مالك بن نبي ، بين الرشاد والتهيه. مرجع سابق ، ص 171.

(3) - الطاهر سعود ، التخلف و التنمية في فكر مالك بن نبي. مرجع سابق، ص 140.

(4) - مالك بن نبي ، بين الرشاد و التهيه . مرجع سابق ، ص 172 .

الفصل الرابع

عناصر الحركة الاقتصادية على المستوى الفني عند مالك بن نبي

المبحث الأول:

أولويات الحركة الاقتصادية على
الصعيد الداخلي

المبحث الثاني:

أولويات الحركة الاقتصادية على
الصعيد الخارجي

تناولنا في الفصل السابق، عناصر الحركة الاقتصادية عند مالك بن نبي على المستوى الحضاري أوكما يصطلح عليها مالك بن نبي بالأبعاد الحضارية لعلم الاقتصاد، والتي يجب على الشعوب المتخلفة أن تتداركها، في أية انطلاقة اقتصادية فعّالة.

غير أن هذا الجانب من علم الاقتصاد غير كاف للخروج من التخلف الاقتصادي، لذا فالأستاذ مالك بن نبي يرى أنه على الشعوب المتخلفة أن تتدارك كذلك تخلفها الناشئ عن العوامل الاقتصادية البحتة، وهو التخلف الناشئ عن اقتصاد مازال في المرحلة الإبتدائية، ولكي يصل تجهيزها إلى المرحلة الثانوية أي مرحلة التصنيع⁽¹⁾، عرض لنا مالك بن نبي العديد من طرق وآليات العمل في هذا الميدان، أو ما يمكن أن نسميه الجانب الفني (التطبيقي) للحركة الاقتصادية، ويهمنا في هذا الجانب أن نتحدث عن شروط الانطلاق الاقتصادي التي يرى مالك بن نبي أنها ضرورية لأي بلد يكون في وضع

(1) - مالك بن نبي، المسلم في عالم الاقتصاد. مرجع سابق، ص25.

اجتماعي اقتصادي، شبيه بالذي تعرفه كل البلدان الآفروآسيوية.

بصورة عامة، فوسائل أي بلد آفروآسيوي في المرحلة الراهنة من تطور تصنف حسب مالك بن نبي كما يلي :

1 - فلاحته، وهي تنقص أو تزيد بدرجة وسائله البدائية ؛.

2 - ما يملك من مواد خام في السوق؛

3 - العمل المتوقع الذي يمكن تحويله إلى عمل واقع يعد بالساعات.

فهذا يعبر عن سائر الرصيد الاقتصادي لوطن متخلف في ساعة الصفر من إقلاعه، وسائر العوامل الأخرى فهي إضافية، إذ كل قرض أو استثمار يأتي من الخارج لا يمكن أن يكون القاعدة التي يقوم عليها مخطط ما⁽¹⁾.

لإحاطة بالأفكار الواردة في هذا الفصل ارتأينا تقسيمه إل مبحثين* :

(1) - مالك بن نبي ، بين الرشاد و التيه. مرجع سابق ، ص177.

* هذا التقسيم وفق إليه الطاهر سعود في رسالته المقدمة لنيل درجة الماجستير بعنوان " التنمية والتخلف عند مالك بن نبي".

المبحث الأول : أولويات الحركة الاقتصادية
على الصعيد الداخلي.

المبحث الثاني: أولويات الحركة الاقتصادية
على الصعيد الخارجي.

المبحث الأول

أولويات الحركة الاقتصادية على الصعيد الداخلي

يرى مالك بن نبي أن خلق شروط الإقلاع الاقتصادي، تنطلق ابتداء من الوسائل، والإمكانيات الذاتية للبلدان المتخلفة، وبصورة عامة، يمكن تحديد جملة من الأولويات على هذا الصعيد، وهي كما يلي :

1/ الفلاحة (أولوية اقتصاد القوات على اقتصاد التنمية) ؛

2/ العمل المتوقع (أولوية الإستثمار الاجتماعي على الإستثمار المالي) ؛

3/ أولوية الإنتاج على الاستهلاك؛

4/ توجيه العمل ورأس المال.

المطلب الأول

الفلاحة (أولوية اقتصاد القوات على اقتصاد التنمية)

أولى مالك بن نبي قطاع الفلاحة أهمية خاصة، واعتبره الدافع الرئيسي لعجلة التنمية في البلدان المتخلفة والسبيل إلى تحقيق استقلالها الاقتصادي، وأشار إلى خطأ الدراسات التنموية عندما أهملت في سياساتها التنموية هذا الجانب الرئيسي

للتنمية، واتجهت نحو القطاع الصناعي كسبيل
أوحد للتنمية، مستندة في هذه السياسات إلى
وجود الصناعات العظمى في الدول المتقدمة،
وعلى هذا يرى مالك بن نبي أنه لا يمكن
تحقيق اقتصاد تنمية بطريقة مستقلة عن
اقتصاد متين لتحقيق القوت⁽¹⁾، وهذا ما أشار
إليه بن نبي عندما تحدث عن مشكلة التصنيع
في البلاد الإسلامية، فيرى أن كل برنامج
للتصنيع داخل هذه البلاد، يواجه مشكلة
الإنتاج الزراعي من جهة، ومشكلة تسويق
المواد الأولية من جهة أخرى، ولقد ورد في
أحد الأبحاث الحديثة التي وضعت تحت إشراف
الأمم المتحدة أن مشكلة الجوع في العالم،
تنتج بخاصة في البلاد الاستوائية وما وراء
الاستوائية، أي على وجه التحديد في البلاد
الإسلامية. وحسب مالك بن نبي فإن هذا النقص
يؤثر أولا وبصفة مباشرة على مشكلات الأساس،
أو القاعدة في هذه البلاد نفسها، وعلى نهوض
اقتصادها، خاصة فيما يتصل بإقحام الرجل
المسلم في النشاط الاقتصادي مستهلكا
ومنتجا، ومن البديهي كما قال الأستاذ مالك
بن نبي فإن عملية إقحامه، تتطلب أن نعطيه
أولا لقمة الخبز قبل أن نسلّمه الفأس

(1) - مالك بن نبي، المسلم في عالم الاقتصاد. مرجع سابق، ص 25.

والمعول⁽¹⁾، ومن هذا المنطلق فمالك بن نبي يدعو إلى ضرورة أن يهتم كل مجتمع متخلف، بتنظيم قطاعه الزراعي لأجل ضمان العيش لأولاده، من خلال إطعام سائر الأفواه، أو كما يصطلح عليه في الاقتصاد الإسلامي تحقيق حد الكفاف والذي هو من واجب الدولة تحقيقه لكل فرد داخلها.

ولكي يدلّل مالك بن نبي على قاعدة أولوية اقتصاد القوت على اقتصاد التنمية، أتى لنا بالنموذج الصيني في الإصلاح الزراعي، واعتبر المزرعة الصينية رائدة النهضة الاقتصادية في البلاد بحيث استطاعت بفضلها الصين أن تستثمر 16% من المحصول الوطني السنوي في التصنيع⁽²⁾.

لقد قدّم القطاع الزراعي الوسائل التي جعلت من الصين تنافس الدول المتقدمة وترسي قاعدة صناعية جبّارة، رغم المحاولة التي قامت بها المعارضة لتعطيل اقتصاد التنمية، ببث الفوضى في اقتصاد القوت، و ذلك عندما بذّروا الاحتياطي من الغذاء، بتوزيع ما يرضي العمال في حاجاتهم العاجلة ويعطل مصالحهم

(1) - مالك بن نبي ، المسلم في عالم الاقتصاد. مرجع سابق، ص 25 .

(2) - المرجع نفسه ، ص 78. وانظر : بين الرشاد والتهيه ، مرجع سابق ، ص 188.

الآجلة، لكن المسؤولين ما لبثوا أن أدركوا بسرعة هذا التخريب، وأطلقوا عليه مصطلحا جديدا هو : الاقتصادانية*.⁽¹⁾

ومن الإصلاحات الزراعية، التي يعتبرها مالك بن نبي رائدة في البلاد الإسلامية، مشروع الإصلاح الزراعي، الذي قام به القادة الجدد في مصر، وقد كان من نتائجه المباشرة أنه غير حالة الفلاح⁽²⁾، ذلك الذي كان يعيش في صورة منبوذ مرتبط بالأرض برباط الاسترقاق، فأصبح عاملا يربط بالأرض وعي اقتصادي لوضعه كمنتج ومستهلك، وحسب مالك بن نبي فإن هذا الاقتحام يمس 82% من مجموع الشعب المصري، وهو يعتبر بهذا الإجراء الأول في تحويل اقتصاد البلاد والخطوة الأولى الضرورية في طريق التصنيع.⁽³⁾

* - اقتصادانية : كلمة منتحلة من لفظ *economie* أي الاقتصاد للتعبير عن الإغراء بوسائل الاقتصاد ويقصد به هنا التخريب الموجه لتخدير الوعي الثوري لدى العمال الذين لم يندفعوا وموجه لإحباط الجهد الجبار المبذول في الوطن من أجل التنمية (انظر الرشاد والنتية).

(1) - مالك بن نبي، بين الرشاد والنتية. مرجع سابق، ص 187.

(2) - تعلق هذا المشروع بما حدث في ثورة يوليو 1952 حيث تم انتزاع ملكية 500000 فدان مشتراة من الملاك الكبار ومصادرة 175000 فدان من أملاك العائلة المالكة وتوزيعها على مجموع الفلاحين (انظر المسلم في عالم الاقتصاد، ص 26).

(3) - مالك بن نبي، المسلم في عالم الاقتصاد. مرجع سابق، ص 25.

وسعيًا منه للنهوض بالقطاع الزراعي في البلاد الإسلامية، راعى مالك بن نبي الموقع الجغرافي لهذه البلاد بصفة عامة، وللعالم العربي بصفة خاصة، والذي تعاني أراضيه الصالحة للزراعة، خطر التصحر، لذا فهو يطالب الدول العربية الإسلامية أن تواجه الإصلاح الزراعي من زاويتين: ⁽¹⁾

أ/ أن تخصص الأراضي لمهمة الإنتاج وفقا لمعطيات اقتصاد القوت من ناحية، واقتصاد التنمية من ناحية أخرى.

ب/ يجب وضع جهاز فعال يحمي المساحات المنتجة من ظاهرة التصحر، التي تهدد جنوب البلاد بأكمله، فهذه الظاهرة تتطلب التعاون الإقليمي بين مختلف الدول التي تهددها حتى تتمكن من صد تقدم الصحراء نحو الأراضي الزراعية.

وحتى يمكن ضمان استقرار في اقتصاد القوت في البلاد الإسلامية، وكذلك مناورات البورصات عليه يرى مالك بن نبي أنه لا بد أن

(1) - مالك بن نبي، من أجل التغيير. مرجع سابق، ص34.

يوضع مخططه في صورة حلقة مغلقة * لا تؤثر عليها العوامل الخارجية .

إن الزراعة من خلال ما تقدمه هي الأساس والمنطلق للتقدم الاقتصادي في البلاد المتخلفة وإنه لمن التخلف أن تبقى مساحات واسعة من أخصب الأراضي معطلة عن العمل، بينما يموت أفرادها جوعاً، وهم لا يدرون أنه منها يمكن أن تنطلق نهضتهم أي حين يعطى للتراب قيمته ⁽¹⁾ .

المطلب الثاني

العمل المتوقع (أولوية الاستثمار الاجتماعي على الاستثمار المالي)

يتميز مالك بن نبي بين نوعين من الاستثمار :

(2)

1/ الاستثمار المالي الكلاسيكي الذي يعتمد منذ الخطوة الأولى على قوة الشراء .

2/ الاستثمار الاجتماعي الذي يعتمد أساساً على قوة العمل .

* - نتعرض للحلقة المغلقة هذه بنوع من التفاصيل في عنصر التكامل والاندماج الاقتصادي .

(1) - الطاهر سعود، التخلف والتنمية في فكر مالك بن نبي. مرجع سابق، ص131.

(2) - مالك بن نبي، بين الرشاد والتيه. مرجع سابق، ص191.

ولنا أن نتساءل عن نوع الاستثمار الذي يراه مالك بن نبي مناسباً للحركة الاقتصادية داخل البلاد المتخلفة؟.

إن مالك بن نبي يرفض مبدأ الاستثمار المالي كأولوية للحركة الاقتصادية في البلاد المتخلفة، ويقدم كبديل له أسلوب الاستثمار الاجتماعي، وهذا الطرح مبني على عدة معطيات اقتصادية وتاريخية: إن اختيار الطريقة الكلاسيكية (المالية) للاستثمار يقودنا حتماً إلى مأزق اقتصادي أولاً، ثم أنه يضع خطط التنمية في البلاد النامية تحت رحمة الرأس المال الأجنبي بالضرورة ثم إنه يفرض عليها قيوداً لا تقدر مسبقاً ثقلها على الصعيد السياسي⁽¹⁾.

إن الاستثمار المالي كما يؤكد مالك بن نبي، لا يستطيع أن يحل مشكلات البلاد النامية كما ولا كيفاً، إنه لا يحلها كماً لأنه مهما تواضعت التقديرات، لا يكون أبداً في مستوى الحاجات الحقيقية، ومن ناحية الكيف لأن قدرته كما يرى مالك بن نبي تصاب منذ الخطوة الأولى بعيب منحه بصفته قرضاً خاضعاً لشروط توجهه غالباً مصالح صاحب رأس

(1) - المرجع نفسه، ص185.

المال،... أو يصاب أيضا بعيب من يستغله
فيستعمله في أبواب تافهة⁽¹⁾.

إن هدف الاستثمار المالي هو خلق وظائف
جديدة، وإيجاد فرص للتشغيل، والعمل يمكن
أن يقضي على حالات البطالة والكساد، غير أن
المجتمع الذي ينمو على هذه الطريقة، في
رأي مالك بن نبي لا يستفيد إلا من جزء من
العمل المتوقع، وهو نسبة السواعد التي
تعمل فعلا، بينما يتحمل بالضرورة سائر
الأفواه التي تأكل سواء منها من كان عاملا
أو غير ذلك.

إن الأخوة الطفيلية على حد تعبير مالك
بن نبي تأكل على أية صورة كانت، ثم إن
هناك نتيجة أخرى لهذا الأثر، وتتمثل في
هجرة العمل المتوقع والذي تمثله السواعد
المعطلة، والتحاقها بأي من الطاقات
العاملة في الخارج، وأحيانا تكون هذه
الطاقات ذات كفاءة وبذلك يصبح المجتمع
وكأنه يصدر للخارج ثروته الرئيسية
المتمثلة في العمل.

(1) - المرجع نفسه، ص 194.

أما المجتمع الذي ينمو على أساس الاستثمار الاجتماعي، فإنه في رأي مالك بن نبي سوف يتخلص منذ اللحظة الأولى من كل هذه المناقضة الصارخة، لأنه يعتمد أساساً على طاقاته الاجتماعية الموجودة في رصيده من إنسان وتراب ووقت، فالأعضاء غير المنتجة فيه تنحصر في أقل مقدار (الطفل – المريض – العجوز) أما بقية السواعد فهي تعمل⁽¹⁾، لأنه قد انطلق من مبدأ أساسي و هو أن السواعد كلها يجب أن تعمل.

وحتى يؤكد مالك بن نبي قيمة هذا الاستثمار، وأهميته للنهوض بالمجتمعات المتخلفة، لكي تتخلص من وسواس المال، وتدرك أن القضية ليست قضية إمكان مالي، وإنما هي بالأساس قضية تعبئة للطاقات الاجتماعية، يفرض أن زلزالاً ما دمر مدينة نيويورك الأمريكية بالكامل، ثم يضع لنا الاحتمالات التالية :⁽²⁾

– هل تستطيع أمريكا القيام بإعادة بنائها؟ فمالك بن نبي يرى أننا سنجيب بنعم

(1) – مالك بن نبي ، بين الرشاد و التيه. مرجع سابق، ص180.

(2) – مالك بن نبي، المسلم في عالم الاقتصاد. مرجع سابق، ص83.

بلا تردد، دون أن نقدر في ذلك على أي أساس
قررنا جوابنا.

– هل تستطيع أمريكا شراء مدينة نيويورك،
بكل محتوياتها الإسكانية والصناعية والفنية
لتعويض ما حطمه الزلزال؟ السؤال في هذه
الصورة كما يقول مالك بن نبي يستحق بعض
التريث حتى لا نقع على حد تعبيره في جواب لا
يقره الواقع.

وعلى هذا الأساس، استنتج مالك بن نبي أن
أمريكا لا تستطيع بإمكانها المالي شراء
مدينة نيويورك، بينما تستطيع بإمكانها
الاجتماعي، بناء مئات المدن مثل نيويورك⁽¹⁾.

إن التجارب التنموية التي حدثت في
القرن الماضي، تؤكد لنا الدور الهام الذي
لعبه الاستثمار الاجتماعي في حركتها
الاقتصادية، ويضرب لنا مالك بن نبي مثالا عن
تلك التجارب بالشعب الألماني الذي وجد نفسه
بعد 1945م في وضع يجعله يعود إلى الحياة
من دون أي سلطان مالي، أو لا يعود إن كان
المال هو الوسيلة الوحيدة لإعادة بناء وطن
كثيف الصناعة، قد دمرته الحرب تدميرا
شاملا وإذا بنا نراه قد عاد وأعاد بناء كل
مدنه المدمرة، وصناعاته الضخمة وكل نشاطه

(1) – المرجع نفسه، ص83.

الاقتصادي، وذلك بما تبقي لديه من وسائل بسيطة تمثل طاقاته الاجتماعية.

لكن ما موقف البلاد المتخلفة بصورة عامة، والإسلامية منها بصفة خاصة من قضية الاستثمار الاجتماعي؟.

يلاحظ مالك بن نبي أن برامج الاستثمار في البلاد الإسلامية، لا زالت بعيدة عن وضع الإنسان بوصفه وسيلة تتغير هي ذاتها في فعاليتها بقدر ما تحدث من تغيرات في نطاق النمو الاقتصادي، كما سبق وأن أشرنا إليه عند تناولنا للجانب الحضاري لعالم الاقتصاد، ويؤكد مالك بن نبي هذه الملاحظة بالنظر إلى المشاريع التي تنشأ فكرتها تحت شعار الاشتراكية، في البداية ثم ما تلبث أن تتحول عندما تدخل حيز الإنجاز على أساس آخر وهو الاستثمار المالي⁽¹⁾، وربما كانت هذه الملاحظة هي سبب نقده عام 1967م لطريقة بناء مصنع الحجار، وذلك عندما تساءل قائلا: " إذا كان مبلغ مأتي (200) مليار فرنك قديم قدر رصيده لتشيد مركب الحديد والصلب لإيجاد حسب التقديرات الرسمية آنذاك حوالي 5 آلاف منصب شغل، فكم يلزم من مبلغ لتوظيف

(1) - مالك بن نبي، المسلم في عالم الاقتصاد. مرجع سابق، ص77.

المهاجرين المقدر عددهم بـ 700 ألف عامل، إن الرقم سيتضاعف ليصل حوالي 28 ألف مليار فرنك⁽¹⁾.

ولنا أن نتساءل كم يلزم حاليا لتشغيل بطالي الجزائر ونظل نركز على الاستثمار المالي، فإن الإجابة تستحيل اقتصاديا إذا علمنا أن هؤلاء يفوق المليون والنصف المليون بطل⁽²⁾. وإنه لمن المستحيل يقول مالك بن نبي ووههم كبير أن يصنع بلد متخلف كالجزائر سياسته التنموية على أساس استثمار رأس المال ينتظر قدومه من الخارج، لإطعام كل الأفواه وتشغيل كل السواعد، طبقا لما تمليه العدالة الاجتماعية في الإسلام⁽³⁾. والجزائر سياستها الاقتصادية منذ 1962م ما فتئت مثل معظم بلدان العلم الإسلامي تكيل نفسها كما قال مالك بن نبي بتبعات مالية تعطل إنجازها، من خلال انتهاجها في مخططاتها التنموية منهج من يعتمد على قوة الشراء المفقودة لديه⁽⁴⁾، وعلى هذا يخلص مالك بن نبي إلى ضرورة أن تكتشف البلدان

(1) - مالك بن نبي، بين الرشاد والتهيه. مرجع سابق، ص185.

(2) - سلوى حيدوي، مفهوم التبعية عند مالك بن نبي. مرجع سابق، ص105.

(3) - مالك بن نبي، بين الرشاد والتهيه. مرجع سابق، ص181.

(4) - المرجع نفسه، ص192.

المتخلفة، أن قدرتها الحقيقية لا توجد على محور القدرة المالية، وإنما على محور القدرة الاجتماعية وأنه ليس لها من طريق للخروج من مأزق التخلف إلاّ طريق الاستثمار الاجتماعي الذي يتيح لكل السواعد أن تعمل، ولكل الأفواه أن تجد قوتها⁽¹⁾.

المطلب الثالث

أولوية الإنتاج على الاستهلاك

يقارن مالك بن نبي بين معادلة الحقوق والواجبات وبين المستوى الذي يريد المجتمع أن يحققه في سلم التقدم المالي، وعلى هذا الأساس يكون الحق هو ما يأخذه الفرد من المجتمع الذي يعيش فيه والواجب هو ما يعطيه الفرد للمجتمع، وإذا نقلنا مفهوم الحق والواجب من لغة الأخلاق إلى لغة الاقتصاد، نجد أن مفهوم الحق يتقابل بداهة مع مفهوم الاستهلاك، ومفهوم الواجب يتطابق مع مفهوم الإنتاج، ولكي يوضح مالك بن نبي العلاقة بين هذين المفهومين وتأثيرهما على مستوى التطور الاقتصادي للمجتمع، قدم لنا صيغة جبرية ثلاثية الاحتمالات، هذه الصيغة تمكننا من تحديد النماذج المختلفة

(1) - الطاهر سعود ، التخلف والتنمية في فكر مالك بن نبي. مرجع سابق، ص 133.

للمجتمعات، و تتمثل هذه الصيغة فيما يلي:
(1)

واجب+حق → الصفر ↔ إنتاج+استهلاك → الصفر

وعليه إذا قمنا بتحليل هذه الصيغة
نخلص إلى أنه: (2)

1- إذا قرر مجتمع منطق السهولة واختار و
غلب الاستهلاك على الإنتاج فهذا يعني أنه
مجتمع ينهار وبالتالي يتخلف.

2- أما إذا تعادل الاستهلاك والإنتاج فهذا
يعني أنه مجتمع راكد اقتصاديا.

3- أما إذا غلب المجتمع الإنتاج على
الاستهلاك فهذا يعني أن إنتاج هذا المجتمع
يتضاعف بالنسبة لاستهلاكه وعليه فهو مجتمع
ينمو ويتطور.

وعلى هذا ينبغي أن لا يغيب عن نظرنا أن
الواجب (الإنتاج) يجب أن يتفوق على الحق
(الاستهلاك) في كل تطور صاعد، أي يكون لدينا

(1) - مالك بن نبي، المسلم في عالم الاقتصاد. مرجع سابق ، ص87.

(2) - المرجع نفسه، ص88.

دائما محصول وافر أو بلغة الاقتصاد السياسي فائض قيمة في كل مجتمع يشق طريق المجد.⁽¹⁾

لهذا يرى مالك بن نبي أن الحركة الاقتصادية الفعّالة لا تقوم إلا على أسبقية الواجبات على الحقوق، أو بلغة الاقتصاد أولوية الإنتاج على الاستهلاك، ويستند في هذا الرأي على معالجة رسول الله صلى عليه وسلم للعديد من المشاكل الاجتماعية والاقتصادية كقوله صلى الله عليه وسلم للصحابي الفقير الذي جاءه ذات مرة سائلا فرد عليه الرسول عليه الصلاة والسلام بقوله " لأن يأخذ أحدكم حبله، فيأتي الجبل بحزمة الحطب على ظهره فيبيعها فيكف بها وجهه خيرا له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه " ⁽²⁾، فعندما نخضع هذه الحادثة إلى المعادلة الخلقية السابقة لا تعدو في رأي مالك بن نبي أن تكون قد اتجهت على أساس اختبار ضمني أو صريح بين مفهومي : الواجب والحق، ونلاحظ كيف أن الرسول صلى الله عليه وسلم يربي دائما أمته على القيام بالواجبات، وإذا قدرنا الأبعاد الاقتصادية

(1) - مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي. ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، ط2، 2000.

(2) - أخرجه البخاري، الصحيح، كتاب الزكاة، باب الاستغفار عن المسألة 159/2.

لهذه الحادثة، فإننا نراه صلى الله عليه وسلم يفصل الحل في نطاق الإنتاج⁽¹⁾.

إن التركيز على الواجب والإنتاج يعطي حتما فائضا في الإنتاج، هذا الفائض يستثمر لتوسيع وإعادة الدورة الإنتاجية باستمرار، أما التركيز على الاثنين فهو مؤشر على ركود المجتمع وبتعبير أدق مجتمع ينتج ليستهلك لا أكثر، والملاحظة أن المجتمعات الإسلامية كلها تقريبا من النوع الثالث، إن لم يكن بعضها من النوع الثاني، وتجدر الإشارة في هذا السياق أن سياسات التنمية التي اعتمدتها بعض الأنظمة في العالم الإسلامي، منها النظام الجزائري منذ 1962م، قد عملت على تحويل الأفراد من منتجين إلى مستهلكين، فإذا كان الاستعمار قد حول المسلم إلى وسيله من وسائل الإنتاج، فإن هذه الأنظمة جعلت المسلم غاية الإنتاج دون وسيلة له، يأكل دون أن ينتج، يطالب بالحقوق دون القيام بالواجبات، في حين يعد بديهي تسبيق الواجبات على الحقوق⁽²⁾. هذا الانحراف في رأي مالك بن نبي غدّته الأنانية في القرن

(1) - مالك بن نبي، المسلم في عالم الاقتصاد. مرجع سابق، ص 87.

(2) - سلوى حديدي، مفهوم التبعية عند مالك بن نبي. مرجع سابق، ص 104.

العشرين، فتحول إلى موروث يصعب معالجته ،
ولا يتأتى إصلاح هذا الانحراف إلا بالقيام
بثورة ثقافية لتعديل التركيز في صالح
الواجبات⁽¹⁾.

المطلب الرابع توجيه العمل ورأس المال

إذا أردنا أن نعطي مفهوما للتوجيه ،
فيمكننا أن نقول أنه تجنب الإسراف في الجهد
والوقت، وتركيز الطاقات والإمكانات،
واستغلال ما هو متاح من أجل تحقيق الغايات
والأهداف المرجوة⁽²⁾. وعلى هذا يرى مالك بن
نبي أن التكامل في التوجيه هو الذي يؤدي
إلى الحضارة، ويخرج المجتمع من عالم
التخلف، وعندما نتكلم عن التوجيه عند مالك
بن نبي فمعناه تأثير الفرد في المجتمع
وذلك بثلاث مؤثرات هي :

- أ - بفكره : ضرورة توجيه الثقافة .
- ب - بعلمه : ضرورة توجيه العمل وتجنب
الإسراف في الجهد.
- ج - بماله : ضرورة توجيه رأس المال.

(1) - مالك بن نبي، المسلم في عالم الاقتصاد. مرجع سابق ، ص89.

(2) - الطاهر سعود ، التخلف و التنمية في فكر مالك بن نبي. مرجع سابق، ص119.

ولن نتكلم في هذا العنصر عن توجيه الثقافة، حيث سبق أن عرفنا معناه في الفصل السابق، أي عند دراسة الجانب الحضاري لعلم الاقتصاد عند مالك بن نبي، فقط سوف نركز دراستنا على الميدان العملي لتوجيه العمل و رأس المال.

1. توجيه العمل :

عبّر عنه مالك بن نبي بأنه تأليف كل الجهود لتغيير وضع الإنسان وخلق بيئته الجديدة⁽¹⁾، وعلى هذا يمكن القول أن مالك بن نبي قد تمكن من حصر مفهوم توجيه العمل، وتحديد معناه فهو يعني به سير الجهود الجماعية في اتجاه واحد، ليصنع كل فرد داخل المجتمع لبنة جديدة في البناء وتأليف كل الجهود لتغيير وضع الإنسان، التي تضمن كسب لقمة العيش لكل فرد، فالأعمال الكبيرة في رأي مالك بن نبي ما هي في النهاية إلا خلاصة مقدمات وجهود بسيطة، تتجمع هذه الجهود، لتقضي على ضروب العطالة التي تقيد حركة النمو وآفاق التحضر، فعندما كان المسلمون يشيّدون مسجدهم الأول بالمدينة، كان هذا أول ساحة للعمل صنعت فيه الحضارة

(1) - مالك بن نبي ، شروط النهضة. مرجع سابق، ص115.

الإسلامية، فلو أننا نظرنا إلى هذه الساحة في بساطتها وقلة شأنها في ذلك الوقت لدعانا المشهد إلى الابتسام، ولكن أليس هنالك قد تلقى بناؤوا الحضارة الإسلامية دروس العمل⁽¹⁾، لذا على الأمة الإسلامية أن تمر بهذه المرحلة في نهضتها المعاصرة، و هو ما يعني سير الجهود الجماعية في اتجاه واحد بما في ذلك جهد الزراعي وصاحب الحرفة والتاجر والطالب والمرأة والمثقف...لكي يصنع كل واحد منهم في كل يوم لبنة جديدة في البناء، فأعطاء ثلاث حروف من الأبجدية عمل، وتقبل هذه الحروف عمل، وإزالة أذى عن الطريق عمل، وإسداء نصح عن النظافة أوالجمال عمل، وغرس شجرة عمل، واستغلال أوقاتنا عمل فنحن كما يقول مالك بن نبي نعمل ما دمنا نعطي أونأخذ بصورة تؤثر في التاريخ⁽²⁾.

إننا لو استعرضنا تجارب تنموية معاصرة فسنلاحظ كيف أولت هذه التجارب قضية العمل أهميتها القصوى، ويمكننا أن نلاحظ من خلال هذه التجارب أن نجاح مشروع اقتصادي تنموي

(1) - المرجع نفسه، ص114.

(2) - المرجع نفسه، ص 115.

ليس مشروطا فقط بحجم المال الذي سيبذل من طرف الدول التي ستقدمه بقدر ما سيكون مشروطا بتحويله إلى وسيلة عمل بين الأيدي التي تحركها إرادة البقاء كالتى حركت الشعب الألماني أيام أتاه مشروع مارشال بعد الحرب العالمية الثانية، إن هذا المدد لم يكن هو السبب الرئيسي في نهضة ألمانيا وإنما كان على حد تعبير الأستاذ مالك بن نبي أحد المنشطات لعملها الجبار في تلك التجربة الرائدة المعبرة عن إرادة حضارة استطاع بفضلها الشعب الألماني استعادة مكانه الذي يفرض وجوده في عالم الاقتصاد بصورة تجعل المراقبين ينعنون هذه التجربة بالمعجزة، هذه المعجزة تتكرر كلما تحرك النشاط البشري على أساس إرادة حضارية كما تكررت فعلا في أقصى البلاد الشرقية، تجربة اليابان الرائعة حيث لم تعد هذه الدولة التي مركزها الدولي السابق بل أصبحت تحتل اليوم رتبة " الدولة الاقتصادية الثالثة في العالم "... وكذلك الحال بالنسبة للصين الحديثة، أو كما ينعنتها مالك بن نبي بصاحبة المعجزة الكبرى في القرن السابق حيث خرجت من العدم فتحوّلت معالمها كما حولت من أجل بناء سدودها و طرقها

المليارات من الأمتار المكعبة من التراب لا بالآلات الحافرة والناقلة المفقودة في بلد ينشأ ولكن بفضل سواعد أبنائها وعلى أكتافهم تحدوهم الأسطورة المعبرة عن طاقة الإنسان عندما تحركه إرادة حضارية , فتذكروا أو ذكروا أن جدهم (يوكنج) حوّل الجبال.⁽¹⁾

إن هذه النماذج التنموية الحديثة لتدل على استقلال العمل مبدئيا عن المال فالقضية بالنسبة للبلدان المتخلفة بصفة عامة، والإسلامية بصفة خاصة، ليست القضية قضية إمكان مالي ولكنها قضية تعبئة للطاقات الاجتماعية أي الإنسان والتراب والوقت⁽²⁾.

2. توجيه رأس المال :

ينطلق مالك بن نبي في دراسة هذا العنصر من تصحيح الفهم الخاطئ لرأس المال, وهو ناشئ من عدم إدراك المعنى الديناميكي لهذا المصطلح العلمي، وحتى يصحح هذا المفهوم الخاطئ ينبغي أولا أن نفرق بين رأس المال والثروة، فالثروة تكون متعلقة بالمركز الاجتماعي لصاحبها، وباستعمال

(1) - مالك بن نبي، المسلم في عالم الاقتصاد. مرجع سابق ، ص 70-71.

(2) - المرجع نفسه، ص71.

صاحبها لها، ومن هذا تظهر الثروة معرفة لنا بطابع مكاسب الشخص غير المتحركة وغير الداخلة في الدورة الاقتصادية، فهي شيء محلي مستقر في حقل صاحبه أو حول خيمته، وليس لها من عمل مستقل بوصفها قوة مالية تدخل في بناء الصناعات وتمويلها، أو في تجارة التصدير والاستيراد أو غير ذلك من الميادين الاقتصادية كما هو الشأن في رأس المال، فالثروة تلقب بلقب صاحبها، أما رأس المال فينفصل اسمه عن صاحبه ويصبح قوة مالية مجردة⁽¹⁾.

بعد هذا التفريق بين الثروة ورأس المال، يسهل الآن تحديد مفهوم هذا الأخير، إذ هو في جوهره المال المتحرك الذي يتسع مجاله الاجتماعي بمقتضى حركته و نموه، ولاشك أن المال الذي يصبح هذه هي حاله من التنقل إلى البلاد، يخلق حركة ونشاطا ويوظف الأيدي والعقول أينما حلّ وحيثما ارتحل⁽²⁾.

ويشير مالك بن نبي إلى أن توجيه رأس المال في البلاد المتخلفة، وهو لا يزال في طوره التكويني، لا يتصل بالكم بل بالكيف،

(1) - مالك بن نبي، المسلم في عالم الاقتصاد. مرجع سابق، ص198.

(2) - المرجع نفسه، ص120.

فالمهم عنده أن تصبح كل قطعة مالية متحركة ومتنقلة تخلق معها العمل والنشاط, أما الكم فإنه له الدور الثاني وهو دور التوسع والنشاط, وكمثال على ذلك يصف لنا مالك بن نبي ما كانت عليه مكة قبل الإسلام, فمن المعروف أن قريشا لم تكن تملك من أموال الإنتاج الشيء الضخم كالعقارات والمصانع, غير أن قوافلها كانت تجوب الصحراء حاملة بضائع الشرق الأدنى في رحلة الشتاء والصيف, وكانت قريش كلها تسهم في تزويد هذه الرحلة, إن الخطأ في توجيه رأس المال, يولد علاقة غير طبيعية بين المال والعمل, هذه العلاقة التي تجعل من المال مهيمنًا على تسخير العمل, فبقدر ما تراكمت وتجمعت الأموال في منشأ المصرف, تحول أولا طابعها الاجتماعي وأصبحت تمثل شيئًا جديدًا هو الرأسمال ثم تحولت الصلة بين المال والعمل, فبعد أن كان المال مجرد خزان للعمل, أصبح سجان له, السجان الذي لا يعترف لسجينه بحق سوى العمل في مصلحته, واليوم بعد أن تنوسي دور المال بوصفه مجرد خزينة يودع فيها فائض العمل ويستغل عند حاجة صاحبه له, كأن العمل أصبح سجينًا لا يتحرك

إلا بإذن صاحب السجن، أي الرأسمال⁽¹⁾، إنه الخطأ في توجيه رأس المال في رأي مالك بن نبي .

إن المشكلة في البلاد المتخلفة كما يؤكد مالك بن نبي ليست في الفقر الذي تعانيه على نطاق واسع بل في ضعف توجيه الأموال أو انعدامه، إمّا على صعيد المتمولين الذين تتوسع ثرواتهم دون أن يكون لها أي صدى اجتماعي، أو على صعيد الفقراء الذين تتوجه الأموال البسيطة التي بين أيديهم إلى نشاطات غير منتجة⁽²⁾، فالقضية ليست في تكديس الثروة، ولكن في تحريك المال وتنشيطه وذلك يتم بتوجيه أموال الأمة البسيطة، وتحويل معناها الاجتماعي، من أموال كاسدة إلى رأس مال متحرك ينشط الفكر والعمل والحياة في البلاد⁽³⁾.

(1) - المرجع نفسه، ص71.

(2) - مالك بن نبي، وجهة العلم الإسلامي. مرجع سابق، ص 90

(3) - مالك بن نبي، شروط النهضة. مرجع سابق، ص121.

المبحث الثاني

أولويات الحركة الاقتصادية على الصعيد الخارجي

إذا كانت أولويات الحركة على الصعيد الداخلي، والتي تناولناها في المبحث السابق ممكنة التحقيق في داخل الدولة الواحدة، باعتبارها مشاكل تقبل الحل على هذا المستوى، فإن هناك أولويات للحركة الاقتصادية، لا يمكن للبلاد المتخلفة عامة وللبلاد الإسلامية خاصة تحقيقها، إلا على الصعيد الخارجي ولا يتم ذلك إلا في ظل تعاون إقليمي أو دولي مما يتطلب تنسيق الجهود وضبط الخطوات.

وعلى هذا الأساس يمكن حصر أولويات الحركة الاقتصادية على المستوى الخارجي عند مالك بن نبي فيما يلي :

أ - ضرورة قطع العلاقة بين العملة والمادة الخام.

ب - ضرورة التكامل و الاندماج الاقتصادي.

المطلب الأول

ضرورة قطع العلاقة بين العملة والمادة الخام

تشكل المادة الخام مصدر أساسي لعمليات التنمية في البلاد المتخلفة بصفة عامة والإسلامية بصفة خاصة، من خلال ما تقدمه من فرص الاستثمار أو ما يصدر منها إلى البلدان المصنعة، فيعود على البلاد في صورة عملة تمكنها من اقتناء ما تحتاجه لتجهيز صناعاتها وتطوير اقتصادها⁽¹⁾. فالبلاد الإسلامية في رأي مالك بن نبي مضطرة في الظروف التي توجد فيها، أن تصدر المواد الخام، تلك التي لا تملك وسائل تغييرها وتصنيعها في بلادها، ومن هنا يطرح أمام البلدان المتخلفة مشكلة تسويق المواد الأولية، وتكون في مرحلة جديدة في مواجهة هذه البلاد لمحور واشنطن - موسكو، هناك حيث تقوم صناعات التحويل والتغيير، وتلك المواجهة التي تظهر نتائجها بصورة طبيعية في الميزان التجاري لتلك البلاد⁽²⁾.

فمن البداية أن تسعير البورصة يبدأ من علاقة " المادة الأولية بالعملة "، تلك العلاقة التي تحددها سعر البورصة، وحسب مالك بن نبي فإن هذا السعر لا تحدده

(1) - الطاهر سعود، التخلف و التنمية في فكر مالك بن نبي، مرجع سابق، ص132.

(2) - مالك بن نبي، المسلم في عالم الاقتصاد، مرجع سابق، ص30.

العناصر الاقتصادية الخاضعة لقانون العرض والطلب فحسب، بل إنه يتحدد أيضا بعناصر غير اقتصادية تفصح عن اعتبارات مالية وسياسية، ويعني بذلك الإرادة الخاضعة لأحد الأطراف، وهو طبعا من بحوزته العملة⁽¹⁾.

فسعر القطن المصري، والتوابل في إندونيسيا والأرز في بورما يخضعون لتسعير هذه الإرادة أي إرادة العملة، وقد أتى لنا مالك بن نبي بمثال ليس بالبعيد عنا أوضح من خلاله سلطة العملة على سوق المواد الأولية إذ ليس هناك في رأيه سبب ظاهر لأن يكون سعر "الحلفاء" الجزائرية، وهي مادة أولية أقل ثلاثين أو أربعين مرة من سعر منتوجها والمتمثلة في عجينة السيليلوز للورق المصنوعة في إنجلترا، فليس هناك سوى سبب واحد يتصل بالعلاقة بين الحلفاء والجنيه الإسترليني، وحسب مالك بن نبي فإن ذلك هو فائدة الصناعة الإنجليزية، والعامل الإنجليزي، وهكذا تكبد ساعة العمل التي يؤديها العامل الإنجليزي، العامل الجزائري كثيرا، إذ أن الأول إنما يفضل الثاني

(1) - المرجع نفسه ، ص31.

بالعملة، على حين لا يمثل الثاني سوى
المادة الأولية⁽¹⁾.

وهذا المثال في الجزائر ينطبق وصفه على
حالة المواد الأولية في مراكش، حيث كانت
قيمة الطن من صادراته للمواد الأولية ستة
مائة فرنك، وقيمة الطن من وارداته من
المادة المصنوعة ألفين وثلاث مائة فرنك⁽²⁾،
وأيًا ما كان الأمر عليه، فإن مالك بن نبي
يطرح ميكانيزما مهما لتحسين المادة الأولية
من ميكيافيلة البورصات وسلطة المال وكذا
تحرير العالم من هذا الإجحاف، ويتمثل هذا
الحل في رأيه في تنسيق الجهود بين الدول
المنتجة للمادة الأولية (الخام) ،
والتفكير في آليات وأطر وتدابير جديدة
تمكنها من فك الارتباط وإلغاء التبعية
والاستغلال، ويؤكد على أن ذلك لا يمكن أن يتم
في صورة قطع العلاقات الاقتصادية التقليدية
مع المستغل، أي قطع العلاقة بين المادة
الخام والعملة، ويقترح في هذا الصدد إنشاء
ما يسميه بـ "مصرف المادة الخام " في

(1) - المرجع نفسه، ص31-32.

(2) - مالك بن نبي، بين الرشاد والتهيه. مرجع سابق، ص151.

مقابل مصرف العملة⁽¹⁾. ويرى مالك بن نبي أنه إذا تم العمل بهذا الاقتراح من شأنه التقليل من نسبة الاستنزاف والهدر الذي تتعرض له المادة الخام في أسواق التبادلات الدولية، فليس معقولا في رأيه أن يتعرض مثلا الكاوتشوك لنكسة، في الوقت الذي تدل الإحصاءات على زيادة مستمرة في منحنى استهلاكه، فتلك ولا شك حالة تدل على وجود أعراض مرضية وهو ما يعتبره مالك بن نبي انحرافا لقانون العرض والطلب الذي يحكم المعاملات الاقتصادية، ولا يمكن أن نفسر هذا في نظره إلا بتحكم كتلة العملة في سير عمليات التبادل بما يحفظ مصالحها الاستراتيجية ويضمن تدفقا غزيرا ومستمرًا للمادة الخام، والسبيل الذي يراه مالك بن نبي قادرا على إيقاف هذا النزيف هو أن تتحرك ما يسميه بكتلة المادة الخام، لتعديل هذا الانحراف بما يحقق لها هي الأخرى مصلحتها، تبعا لمبدأ الاقتصاد الموحد⁽²⁾.

يرى مالك بن نبي أن اقتراح - إنشاء مصرف للمادة الخام - لا يؤدي دوره المأمول

(1) - الطاهر سعود ، التخلف والتنمية في فكر مالك بن نبي، مرجع سابق، ص131. وانظر: بين الرشاد والنتية، مرجع سابق، ص151.

(2) - مالك بن نبي، المسلم في عالم الاقتصاد، مرجع سابق، ص87.

منه إلا إذا كان تجسيدا حقيقيا لإرادة الأطراف المعنية (الدول المتخلفة) وتصميمها على تحقيقه الواقعي، كما ينبغي أن لا يطرح إنشاء هذا المصرف في صورة تحد للدول الصناعية ولكن يطرح على أنه تدعيم للعدالة بين الدول وللفعالية في البلاد المتخلفة⁽¹⁾.

المطلب الثاني

ضرورة التكامل والاندماج الاقتصادي

يعتبر مالك بن نبي من الداعين إلى فكرة الاقتصاد الموحد خاصة فيما يخص الدول المتخلفة، حتى يشكل هذه الأخيرة قوة محورية تستطيع أن تفرض وجودها ودورها في الساحة العالمية كغيرها من الكتل والقوى الفاعلة، ويمكن أن نلمس هذا في دعوته إلى فكرة الآفروآسيوية لإنشاء كتل يجمع شعوب أفريقيا وآسيا، أو في دعوته إلى الكمنويلث الإسلامي يجمع الشعوب الإسلامية ويمنحها موقعا على خارطة العالم المعاصر⁽²⁾.

(1) - لمزيد من التفصيل حول هذا الموضوع بالإمكان الرجوع إلى كتاب : فكرة كمنويلث إسلامي لمؤلفه مالك

بن نبي ترجمة الطيب الشريف ، إشراف ندوة مالك بن نبي.

(2) - الطاهر سعود ، التخلف والتنمية في فكر مالك بن نبي، مرجع سابق، ص135.

ويرى مالك بن نبي تراجع الاقتصاد القومي وقد فات أوانه أو هو في طريق الزوال، فالإقتصاد في نظره أصبح الآن شيئاً فشيئاً في صورة " الاتحاد الاقتصادي " وهو الاتحاد الذي يتشكل أكثر من قومية⁽¹⁾، ويعلل مالك بن نبي تراجع الاقتصاد القومي عن أداء دوره كما كان عليه في القرن التاسع عشر في أوروبا، بأن النمو الاقتصادي الأوربي كان يتحقق على مساحات عذراء تمثلها المستعمرات حيث كان كل مستعمر يستطيع أن يفرض ما يناسب اقتصاده، وقد أخفى هذا الأمر عن عالم الاقتصاد في ذلك العهد العوامل التي تلعب اليوم دوراً رئيسياً في اقتصاد يريد تحقيق استقلاله، ففي ذلك الوقت فإن كلمة الوطنية كانت وحدها كافية للدلالة على الاستقلال ولكن القرن العشرين كشف أن الاستقلال الاقتصادي يرتبط بعاملين: اتساع الرقعة وعدد السكان.

ومن هنا لاحظ مالك بن نبي أن شرط الاقتصاد التكاملي هذه لا تتوفر إلا في أوضاع محدودة مثل الو.م.أ. والاتحاد السوفيتي سابقا والصين⁽²⁾، إن المشروع المشترك بين

(1) - مالك بن نبي، المسلم في عالم الاقتصاد. مرجع سابق، ص 27، وأنظر: الفكرة الأفروآسيوية،

ص166.

(2) - مالك بن نبي، بين الرشاد و التيه. مرجع سابق ص166.

الصين والاتحاد السوفيتي سابقا والمتعلق بإنشاء إمبراطورية زراعية مشتركة تقوم على إنشاء القمح الروسي والقطن الصيني والموجه أساسا لتدعيم اتحاد صناعي، يعتبره مالك بن نبي مثالا فذا في مجال الاتحادات الاقتصادية⁽¹⁾، وكذلك الحال أيضا بالنسبة لاتجاه الأوطان الأوروبية نحو فكرة تأسيس السوق المشتركة الأوروبية والذي اعتبره مالك بن نبي واقع يمليه تطور العلاقات الاقتصادية في العالم، حيث اتخذت هذه الدول اتجاه الاقتصاد التكاملي، لمواجهة الضرورات الداخلية والخارجية*⁽²⁾.

إن مالك بن نبي يرى أن الأوطان العربية والإسلامية على العموم أحوج من غيرها للأخذ بهذا الاتجاه، وفي هذا الصدد يقترح مالك بن نبي على هذه البلدان أن تنتظم حياتها الاقتصادية على شروط تمكنها من تحقيق حلقة اقتصادية كاملة داخل حدودها⁽³⁾.

(1) - مالك بن نبي، المسلم في عالم الاقتصاد. مرجع سابق، ص 99.

* - توسع الاتحاد الأوربي حيث انضمت إليه يوم 2004/08/1 عشرة دول من أوربا الشرقية ليصبح بذلك أكبر كتل اقتصادي إقليمي في العالم بـ 455 مليون نسمة .

(2) - مالك بن نبي، المسلم في عالم الاقتصاد. مرجع سابق، ص 100.

(3) - المرجع نفسه، ص 101.

وفي هذا الإطار يطرح مالك بن نبي عدّة مشروعات تمهيدية في البلاد الإسلامية، يمكن من خلال تطبيقها أن تكون لبنة أولى نحو التكامل الاقتصادي، مثل مقترحه الخاص باشتراك ثلاث دول وهي السعودية ومصر والسودان في ريّ وإخصاب منخفض "القطّارة" الواقع غرب الإسكندرية والممتد إلى حدود ليبيا لمصلحة الدول الثلاث⁽¹⁾.

أيضا يشير مالك بن نبي إلى أن ليبيا على سبيل المثال لها متسع من التراب، ومصر لها فائض من العدة البشرية والكويت لديها فائض من المال المعطّل، فلو اجتمعت هذه العوامل الثلاث في خطة تجريبية لأدرك العالم العربي كله أن شروط الإقلاع والاكتفاء الذاتي تحت يده.

إن هذه التجربة تعتبر في رأي مالك بن نبي نموذج يمكن تعميمه، ليكون لبنة عربية في أساس الحضارة الإسلامية الجديدة، أيضا من المقترحات التي قدمها مالك بن نبي في اتجاه التكامل والاندماج الاقتصادي سعيا لتحقيق الاستقلال الاقتصادي، دعوته كما سبقت الإشارة إليه إلى إنشاء كتلة للمواد الخام

(1) - المرجع نفسه، ص27.

لحماية المادة الأولية من سيادة كتلة العملة عليها، والملاحظ أن دعوته هذه كانت من العوامل المحفزة لإنشاء منظمة الأوبيك⁽¹⁾، أيضا دعوته أن تتطور صيغة الحلقات الاقتصادية العربية نحو صورة سوق عربية مشتركة، و يكون النموذج الأوربي من الدلالة المهمة لهذا المشروع⁽²⁾.

إننا نلمس من هذه المقترحات دعوة صادقة من مالك بن نبي للمسلمين حتى يوحدوا إمكانياتهم وحاجاتهم كي يحققوا شروط الاكتفاء الذاتي، أو كما يعبر عنه مالك بن نبي بالحلقة الاقتصادية التي تستطيع الانغلاق على نفسها متى اقتضت الضرورات الداخلية والخارجية.⁽³⁾

(1) - سلوى حبيدي ، مفهوم التبعية عند مالك بن نبي . مرجع سابق، ص146.

(2) - مالك بن نبي، بين الرشاد و التيه. مرجع سابق، ص165.

(3) - مالك بن نبي ، المسلم في عالم الاقتصاد. مرجع سابق، ص103.

C

يمكننا من خلال دراسة هذا الموضوع، والذي حاولنا فيه إبراز الفكر الاقتصادي عند المفكر الإسلامي مالك بن نبي القول أن هذا الأخير قد تمكن من الإحاطة بكثير من المفاهيم والأفكار الاقتصادية المعاصرة، في شتى الموضوعات والحقول التي يملئها الواقع المعاصر، لقد كان مالك بن نبي رائداً و عالماً بارزاً في كل تأصيلاته الحضارية الاقتصادية، أو في مجال تحليله الاقتصادي والذي يمكن إدراجه ضمن دائرة الاقتصاد الإسلامي لأن مالك بن نبي يرجع في جميع مراحل بحوثه إلى أصول الشريعة الإسلامية، ويقيد تقاريراته واستنتاجاته بالضوابط الشرعية إما ضمناً أو تصريحاً.

إن هذه الدراسة تهدف في مجملها لأن تكون مساهمة في الفكر الإسلامي والذي يدعو مالك بن نبي لخوض معركة كبرى لمواجهة تحدي عالم الاقتصاد.

وإجمالاً يمكن أن نحدد أهم نتائج هذه الدراسة فيما يلي :

- لقد تناول مالك بن نبي المسألة الاقتصادية في صيغة شمولية حضارية رائعة، لأن المسألة الاقتصادية على حد قوله ليست مجرد أرقام وكميات بل هي دوائر عقدية وأخلاقية وسياسية وروحية واجتماعية وتربوية وفنية، والتي تشكل عناصر للحركة الاقتصادية، تتداخل فيما بينها بهدف بناء نظرية اقتصادية متكاملة .

- عندما يطرح مالك بن نبي أفكاره الاقتصادية، يكون هذا الطرح مبنيًا على أساس إيماني وعقدي، كما يكون مبنيًا أيضًا على استعمال القدرات الذاتية للمجتمعات خلفًا للطرح الذي قدمه العديد من المثقفين في مجال الاقتصاد والذين وقفوا موقف اختيار وتفضيل بين ما هو موجود من مناهج اقتصادية عند الغير، وعلى هذا الأساس فإن مالك بن نبي يدعوا الشباب المهتم بالاقتصاد أن يخلي أولًا ذهنه من الجوانب المذهبية الإضافية في المنطلق أو التنظيمية التي تكتسبها القضية الاقتصادية في الطريق بصفتها وسائل إدارة و إشراف ورقابة .

- يخلص مالك بن نبي من خلال دراسته لواقع العالم الإسلامي إلى أن بناء نظرية

اقتصادية متكاملة ومعاصرة، تتطلب التفكير في الشروط الفنية التي يتطلبها التوفيق بين معادلة إنسانية معينة خاصة بالمجتمعات الإسلامية، وبين المعادلة الاقتصادية السائدة في العصر.

إلى جانب هذه الأفكار المركزية، هناك أفكار أخرى كثيرة حاولنا في إطار دراستنا للموضوع إبرازها والتنبيه إليها وتبني دعوتنا في الأخير إلى ضرورة الأخذ بأفكار مالك بن نبي الاقتصادية وضرورة التواصل معها فكرياً، إما بتعميق البحث فيها، أو المساهمة في إنضاج ما يحتاجه منها إلى ذلك، وربما جعلها كمنطق أساسي لبناء نظرية إسلامية متكاملة في المجال الاقتصادي .

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم .

- كتب مالك بن نبي :

- مالك بن نبي، بين الرشاد والتهيه . إشراف ندوة مالك بن نبي، دار الفكر المعاصر، بيروت لبنان، دار الفكر، دمشق، سوريا، دط، 1423هـ - 2002م .
- مالك بن نبي، تأملات، إشراف ندوة بن نبي، دار الفكر، دمشق، سوريا، دط، 1460هـ - 2000م .
- مالك بن نبي، شروط النهضة . ترجمة عمر كامل مسقاوي، عبد الصبور شاهين، إشراف ندوة مالك بن نبي، دار الفكر المعاصر، بيروت ، لبنان، دار الفكر دمشق، سوريا، دط، 1460هـ - 2000م .
- مالك بن نبي، فكرة الإفريقية الآسيوية في ضل مؤتمر باندونغ . ترجمة عبد الصبور شاهين، إشراف ندوة مالك بن نبي، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط3 ، 2001م .
- مالك بن نبي، فكرة كمنويلث إسلامي . ترجمة الطيب الشريف، إشراف ندوة مالك بن نبي،

- دار الفكر، الجزائر، دار الفكر، دمشق ،سوريا، ط2 ، 1410هـ - 1990م .
- مالك بن نبي، في مهب المعركة ، إرهابات الثروة . إشراف ندوة مالك بن نبي، دار الفكر، دمشق، سوريا، دط، 1406هـ - 1986م .
- مالك بن نبي، مذكرات شاهد للقرن . إشراف ندوة مالك بن نبي، دار الفكر، دمشق، سوريا، دط، 1406هـ - 1986م .
- مالك بن نبي، المسلم في عالم الاقتصاد . إشراف ندوة مالك بن نبي، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق ، سوريا، دط، 1423هـ - 2002م .
- مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي. ترجمة بسام بركة و أحمد شعيبور، دار الفكر المعاصر، لبنان، دار الفكر، سوريا، دط، 1423هـ - 2002م .
- مالك بن نبي ، من أجل التغيير . دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق سوريا، دط، 1423هـ - 2002م .
- ميلاد مجتمع شبكة العلاقات الاجتماعية . ترجمة عبد الصبور شاهين، إشراف ندوة مالك بن نبي، دار الفكر، دمشق ،سوريا ، 1406هـ - 1986م .

- مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي. ترجمة عبد الصبور شاهين ، إشراف ندوة مالك بن نبي، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سوريا، دط، 1460هـ - 2000م .

. دراسات حول فكر مالك بن نبي :

- بشير قلاتي، البعث الحضاري عند مالك بن نبي ووحيد الدين خان. إشراف فضيل دليوا، رسالة ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ، قسم الدعوة والإعلام ، معهد أصول الدين، 1996 - 1997م .
- سلوى حديدي، مفهوم التبعية عند مالك بن نبي، إشراف فتحة غلاب، رسالة ماجستير، قسم العلوم السياسية، جامعة الجزائر، 1994 - 1995م .
- شايف عكاشة، الصراع الحضاري عند مالك بن نبي، دار الفكر، ط1، 1406هـ - 1986م .
- الطاهر سعود، التخلف والتنمية في فكر مالك بن نبي. إشراف فضيل دليو، رسالة ماجستير، قسم علم الاجتماع، جامعة قسنطينة، 2000 - 2001م .
- الطيب برغوث، موقع المسألة الثقافية من استراتيجية التجديد عند مالك بن نبي.

- الشهاب، باتنة، الجزائر، ط 1، 1404هـ - 1983م .
- عبد اللطيف عبادة، صفحات مشرفة من فكر مالك بن نبي. الشهاب، باتنة، الجزائر، ط 1، 1404هـ - 1984م .
- محمد دراجي، معالم منهج حضاري في تفسير القرآن الكريم عند مالك بن نبي والشيخ محمد الغزالي . دار البلاغ، الجزائر، ط 1، 1423هـ - 2002م .
- . مراجع عامة :**
- سمير الهضبي، تأملات حول الحل الإسلامي والمشكلة الاقتصادية، الزهراء للإعلام العربي ، ط 1، 1407هـ - 1987م .
- سيد قطب، السلام العالمي والإسلام. دار الشروق، ط 10، 1412هـ - 1992م .
- عبد الغني عبود، التربية الاقتصادية في الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط 1، 1992م .
- يوسف القرضاوي، دور القيم والأخلاق في الاقتصاد الإسلامي. مؤسسة الرسالة، ط 1، 1422هـ - 2002م .
- عمر بن قينه، شخصيات جزائرية. دار البعث، قسنطينة، الجزائر، ط 1، 1403هـ - 1983م .

— معاجم وقواميس :

- أحمد زكي بدوي، معجم المصطلحات الاقتصادية. دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، دار الكتاب المصري، القاهرة، دط، دت.

- محمد عبد المنعم الجمال، موسوعة الاقتصاد الإسلامي. دار الكتاب المصري، القاهرة، اللبناني، بيروت، لبنان، ط 2، 1406 هـ - 1986 م .

- منير البعلبكي، معجم أعلام المورد. دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط 1، 1992 م .

. دوريات ومجلات :

- الموافقات، الجزائر، العدد 03 ، ذوا الحجة 1414 هـ - جوان 1994 م .

- المسار المغربي، الجزائر، العدد 07 - 1989 م .

فهرس الموضوعات

العنـــــــــــــــــوان	الصفحة
مقدمة	5
1- الإشكالية	6
2 - منهج البحث	8
3 - تحديد المفاهيم	8
أ / النظام الاقتصادي	8
ب / النظام الرأسمالي	9
ج / النظام الاشتراكي	9
د / النظام الاقتصادي	10

	الإسلامي.....
11	4 - أهمية الموضوع و دواعي اختياره
11	أولا : أهمية الموضوع.....
12	ثانيا : دواعي اختيار الموضوع.....
13	5 - وصف محتويات خطة الدراسة.....
15	الفصل الأول مالك بن نبي وإسهامه في الفكر الاقتصادي
17	تمهيد.....
18	المبحث الأول: حياة مالك بن نبي.....
18	المطلب الأول: النشأة.....
22	المطلب الثاني: المرجعية الفكرية وعوامل بلورتها.....
23	1 - المحيط الجغرافي.....

23	1- أ - البيئة العائلية.....
24	1- ب - البيئة الاجتماعية.....
27	2 - المحيط الفرنسي...
27	2- أ - البيئة العائلية.....
27	2 - ب - البيئة الاجتماعية.....
29	3- القراءات.....
32	المبحث الثاني: موقع الفكر الاقتصادي في كتابات مالك بن نبي.
32	المطلب الأول: مؤلفات بن نبي وسماتها العامة.
39	المطلب الثاني: كتاب المسلم في عالم الاقتصاد وأهميته.....
43	الفصل الثاني

الواقع الاقتصادي للعالم الإسلامي وتحديات الخيارات الاقتصادية المتاحة

- 45 تمهيد
.....
- 46
المبحث الأول: الواقع الاقتصادي
للعالم الإسلامي
المطلب الأول: موقع العالم الإسلامي
من خارطة توزيع الإمكانات الاقتصادية
في
العالم
46
المطلب الثاني: عدم القدرة على تجاوز
المرحلة النباتية في العالم الإسلامي.
.....
.....
- 50
52
المطلب الثالث: الميل إلى التكديس
و الشيئية في العالم الإسلامي..
- 54
المبحث الثاني : تحديات
الخيارات الاقتصادية
المتاحة.....
- 54
المطلب الأول: حدود اختيار
الاتجاه
الاقتصادي.....
- 57
المطلب الثاني: اختيار المذهب
الاشتراكي.....
.....
- 58
1 - المشكلة
الاقتصادية.....
.....
.....

2- الملكية 59

.....
.....
.....

3- الأرباح 59

.....
.....
.....

المطلب الثالث: اختيار المذهب 60

الرأسمالي.....
.....

1- المشكلة 62

الاقتصادية.....
.....
.....

2- 62

الملكية.....
.....
.....

3- 62

الأرباح.....
.....
.....

الفصل الثالث: عناصر الحركة الاقتصادية 65

على المستوى الحضاري

عند مالك بن نبي

تمهيد 67

.....
.....
.....

المبحث الأول: عناصر الحركة الاقتصادية

على المستويين العقائدي

والروحي..... 68

69	المطلب الأول: عناصر الحركة الاقتصادية على المستوى العقائدي.....
74	المطلب الثاني: عناصر الحركة الاقتصادية على المستوى النفسي والروحي المبحث الثاني: عناصر الحركة الاقتصادية على المستويين الاجتماعي والتربوي.....
80	
80	المطلب الأول : عناصر الحركة الاقتصادية على المستوى الاجتماعي.....
84	المطلب الثاني: عناصر الحركة الاقتصادية على المستوى التربوي..... المبحث الثالث: عناصر الحركة الاقتصادية على المستويين السياسي والفكري
89	
89	المطلب الأول: عناصر الحركة الاقتصادية على المستوى السياسي.....
91	المطلب الثاني: عناصر الحركة الاقتصادية على المستوى الفكري.....
97	الفصل الرابع : عناصر الحركة الاقتصادية على المستوى الفني عند مالك بن نبي
99	تمهيد

10	المبحث الأول: أولويات الحركة
1	الاقتصادية على الصعيد الداخلي.....
10	المطلب الأول : الفلاحة (أولوية اقتصاد
1	القوت على اقتصاد التنمية) المطلب الثاني: العمل المتوقع (أولوية الاستثمار الاجتماعي على الاستثمار
10	الاستثمار
4	المالي).....
10	المطلب الثالث: أولوية الإنتاج على
8	الاستهلاك.....
11	المطلب الرابع: توجيه العمل و رأس
1	المال.....
11	1 - توجيه العمل
1	
11	2 - توجيه رأس
3	المال.....
11	المبحث الثاني : أولويات الحركة
6	الاقتصادية على الصعيد الخارجي.....
11	المطلب الأول : ضرورة قطع العلاقة بين
6	العملة والمادة الخام

11	المطلب الثاني : ضرورة التكامل	
8	والاندماج	
	الاقتصادي	
12	الخاتمة	
2		
		
12	قائمة المصادر	
4	والمراجع	
		
12	الفهرس	
7		
		

إعلان عن جائزة اللغة العربية 2012

يعلن المجلس الأعلى للغة العربية عن تنظيم "جائزة اللغة العربية لسنة 2012" التي تهدف إلى تشجيع الباحثين والمبدعين وتثمين منجزاتهم العلمية والمعرفية، ذات المردود النوعي الهادف إلى إثراء اللغة العربية، والإسهام في نشرها وترقيتها، سواء أكانت هذه الأعمال مؤلفة باللغة العربية، أم مترجمة إليها،

1 . شروط الترشح للجائزة:

- أن يقدم العمل باللغة العربية
- أن يتوفر العمل على قواعد المنهجية العلمية
- أن يكون البحث موثقاً وأصيلاً، ولم يسبق نشره، وفي مجال الترجمة ترفق نسخة للنص بلغته الأصلية
- أن لا يكون قد نال به صاحبه جائزة أو شهادة علمية

- أن يندرج البحث في أحد المجالات المذكورة أدناه .
- قرارات لجنة التحكيم غير قابلة للطعن
- لا ترد الأعمال إلى أصحابها سواء فازت أم لم تفز
- 2. حدد مبلغ الجائزة بـ 1.000.000 دج ، يوزع بمقدار 250.000 دج لكل مجال من المجالات الأربعة التالية :
- جائزة المجلس في علوم اللغة العربية .
- جائزة المجلس في الترجمة إلى العربية في العلوم والآداب
- جائزة المجلس في العلوم الاقتصادية
- جائزة المجلس في التاريخ الوطني
- حدد مبلغ الجائزة للفائز الأول بـ: 160.000 دج ، ومبلغ الفائز الثاني بـ 90.000 دج في كل مجال من المجالات الأربعة المذكورة أعلاه .
- يمكن أن يتكفل المجلس بنشر الأعمال الفائزة ، وتصبح ملكا له ، إلا أنه يمكن

للفائز بالجائزة استعادة حقوقه حسب دفتر الشروط، وبعد انقضاء مدة ثلاث سنوات - على الأقل- من نشر العمل.

تعرض الأعمال المرشحة على لجنة تحكيم مكونة من ذوي الاختصاص، الذين لا يسمح لهم بالمشاركة في الجائزة،

3. طلب الترشح:

يتكون طلب الترشح للجائزة من الوثائق الآتية :

- طلب خطي - نسخة من وثيقة الهوية (بطاقة التعريف أو رخصة السياقة)

- السيرة العلمية للمشاركة

- نسختين من البحث المقدم لنيل الجائزة :

- النسخة الأولى مسجلة على قرص والنسخة الثانية توجه عن طريق البريد المسجل، ويكون تاريخ الختم البريدي شاهداً على ذلك.

4 - يفتح باب الترشح للجائزة ابتداءً من نشر هذا الإعلان في وسائل الإعلام إلى غاية 31 ديسمبر 2011

5 - يوجه ملف الترشح إلى العنوان الآتي :

السيد رئيس المجلس الأعلى للغة العربية

شارع فرانكلين روزفلت ، الجزائر

أو

ص.ب : 575 شارع ديدوش مراد الجزائر
العاصمة

" جائزة اللغة العربية "

طبع هذا الكتاب بـ:

دار الخلدونية للطباعة والنشر والتوزيع

05، شارع محمد مسعودي القبة القديمة - الجزائر

الهاتف: 021.68.86.49 الفاكس: 021.68.86.48

البريد الإلكتروني : khaldou99_ed@yahoo.fr



**الأبعاد الحضارية والفنية للنظرية الاقتصادية في فكر مالك
بن نبي للباحثين : أ/ إسماعيل مومني، أ/ ميلود زكري :**



هو عمل مشترك لباحثين في أربعة فصول، تهدف هذه الدراسة إلى جمع أفكار ومؤلفات المفكر الجزائري مالك بن نبي في المجال الاقتصادي ودراساتها وتحليلها لإبراز مساهمته في وضع نظرية اقتصادية ذات بُعد عربي. إسلامي، ويعتبر الموضوع مهماً للباحثين والدارسين والمهتمين لخلو المكتبات الجزائرية في معظم التخصصات كالاقتصاد، وعلم الاجتماع، والعلوم السياسية، والعلوم القانونية لمثل هذه البحوث، ويقع الكتاب في 136 صفحة من الحجم العادي.

ISBN: 978-9947-821-50-3



9789947821503



المجلس الأعلى للغة العربية

شارع فرنكلين روزفلت - الجزائر

الهاتف: 213.021.23.07.24/25 الفاكس: 213.021.23.07.07

ص.ب: 575 الجزائر - ديدوش مراد

www.csla.dz